

المملكة الاردنية الهاشمية

وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

مديرية التعليم الشرعي

أساليب التعليم عند القراء والمقرئين

للمستوى الثالث

في دور القرآن الكريم النموذجية

تأليف

الشيخ زيدان محمود سلامة العقرباوي

قررت وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية
تدريس هذا الكتاب في دور القران الكريم النموذجية في المملكة
إبتداء من العام الدراسي ١٤١٧ - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ - ١٩٩٨م

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٧/٤/٥٢٤)

رقـــم التصـنـيـــف : ٢٢٣
المؤلف ومن هو في حكمه : زيدان محمود سلامة العقرباوي
عنـــوان الكتـــاب : اساليب التعليم عند القراء والمقرئين
الموضـوع الرئيســـي : ١ - الديانات
٢ - القرآن الكريم - تعليم
رقـــم الايـــداع : (١٩٩٧/٤/٥٢٤)
بيـــانات النشــر :
*** - تم اعدد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده على قديم احسانه، حمد من يعلم ان مولاه الكريم علمه ما لم يكن يعلم، وكان فضله عليه عظيماً، وأسأله المزيد من فضله، والشكر على ماتفضل به من نعمه، انه ذو فضل عظيم، وصلى الله على محمد عبده ورسوله صلاة تكون له رضاً ولي بها مغفرة.

أما بعد : فإن أولى ما يصرف في تحصيله، وأجدر ما يداب فى ادراك تأويله العاقل في كل عصر وآن، وأحرى ما ينافس في مثله ذو اللب والجنان، واحق ما ينفق فيه العمر عند ذوي العرفان، العلم النافع والعمل الصالح، اذ بهما فوز كل فائز، وفلاح كل فالح، ولا شك أن العمل ثمرة العلم.

ولا يؤلف أحد كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة وهي : إما أن يؤلف في شيء لم يسبق اليه يخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أوشيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء في معانيه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، او شيء مفرق يجمعه(١).

وقد مكثت برهة من الدهر وأنا أهم وأعزم ، وأتردد وأحزم، لعدم علمي بالأحق والأحرى وانا متردد بين الاقدام والاحجام، لقصور شأوي عن ادراك مثل هذا المقام، مع فقدى جل المواد، وتعذر وجود المداد، واشتغال البال بالبلابل والهموم، وتشويش الخاطر بالقلاقل والغموم، كيف لا والوقت اكفهر وجهه بالمقت، ولم يبق من آثار هذا البيان الا حكايات، والعلم قد افلت شموسه، وتقوضت محافله ودروسه، وربعه المأهول امسى خالياً، وواديه المأنوس اضحى موحشاً، وغصنه الرطيب غدا ذاوياً. فليس له في هذا الزمان الا الإلتجاء الى عالم السر والاعلان، فهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع، فلا جرم فقد ذهبت الراحة والسرور، والبهجة والحبور مع الرعيل الأول والسرب الذي عليه المعول، ولم يبق لأبناء هذا العصر الا الشدة والحصر، والندم والتأسف والتأفف والتلهف، والاشتغال بالقيل والقال، واضاعة العمر في اللهو

(١) شمس الدين البابلي المتوفى سنة ١٠٧٧ ذكره محمد أمين بن فضل الله في خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر ٤١/٤ طبعة القاهرة ١٢٨٤هـ.

والمحال، فلا لوم على العالم اذا خمدت ناره، وانطمست آثاره، وبردت شرارته، وصار تابعاً بعد ان كان متبوعاً، ولكن لابد في كل عصر ومصر للدين من حملة، وللعلم من نقله، قال صلى الله عليه وسلم في صحيح ابن حبان «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستغلهم في طاعته». فقد حداني ما رأيته من إهمال قراء عصرنا، ومقرئي دهرنا تجويد التلاوة، وتحقيق القراءة – وأساليب التدرج في الدراسة، ووصف كيفية التعليم عند الصحابة، والسبل التي تلقاها الخلف عن السلف، أن الزمت نفسي رسم كتيب خفيف المحمل، سهل المأخذ، مستعينا بالوارد من السنن والاخبار، وعلى حسب ما قرأناه وتلقيناه عن الأئمة الماضين والقراء السالفين، لتتوفر بذلك فائدته، ويعم نفعه من رغب في الاتقان في تعلم وتعليم احكام القرآن. فلو كان يجب على العالم ان ينطلق دائماً من البداية، فلن يكون التقدم ممكناً، وبالتقاء ألعلم بالتجربة تتفجر شرارة المعرفة. واعلم انه لو اردنا استقصاء هذا الأمر لاستفرغ عمرنا، ثم لم يحكم أمرنا، ولكن اقتصرنا على ما يفيد، والمعلوم ان الصناعة طويلة والعمر قصير، وما هذا الكتيب بالنسبة الى هذا العلم الا كنقطة مطر في خضم بحر زاخر.

واعلم ان القراء متفاضلون في العلم بالتجويد، والتعليم والتدريس والاخذ والتبيين، والمعرفة بالتحقيق والترتيل والحدر والتدوير، واساليب التعليم.. والعلم فطنه ودراية، فللدراية ضبطها ونظمها وعلمها، وللرواية نقلها واخذها وتعلمها، ولا سيما والجهل ممدود الرواق، مستول على الآفاق، والعلم الى عفاء ودروس، وعلى خفاء وطموس، وأهله في جفوة الزمن، يقاسون في عبوسه، خاصة في هذا العلم العظيم، فالنفوس معرضة عما ندبهم اليه مولاهم الكريم ، قليلة الاكتراث به.

أستغفر الله من التقصير، وأسأله النقلة من هذه الحالة التي لا تحسن بأهل القرآن ولا يرضاها لهم مولاهم، انه نعم المولى ونعم النصير.

واشكر مقدماً أخاً كريماً اطلع على عيب فهداني اليه، او على نقص فاصلحه، والله وحده بفضله يحفظنا من الزلل الذي لا يسلم منه أحد من البشر ونسأله أن يستر عوراتنا، ويتجاوز عن سيئاتنا، ويوفقنا لما هو أولى بنا، انه المنان الواسع الغفران.

وان تجد عيباً فسدَّ الخللا قد جل من لا عيب له وعلا

الفقير الى عفو ربه
زيدان محمود سلامه العقرباوي

«السـند»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد :-

اعلم - علمك الله وإياي - ان العلماء قد اهتموا بالإسناد وجعلوه من السنن المؤكدة ومن خصائص هذه الأمة، وجعلوه انساب الكتب. كما قال الحافظ ابن حجر نقلاً عن بعض الفضلاء «الاسانيد انساب الكتب».

ولم يكتف العلماء بذلك بل حضوا على علو السند وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان الواحد منهم يسافر مسيرة الشهر واكثر لعلو الاسناد، ولا ادل على ذلك من قول الامام ابن معين رحمه الله: الاسناد العالي قربة الى الله تعالى والى الرسول صلى الله عليه وسلم» وكذلك قال في مرض موته حينما قيل له: ما تشتهي؟ قال: «بيتاً خالياً واسناداً عالياً»، وقال الامام احمد رحمه الله «الاسناد العالي سنة عمن سلف».

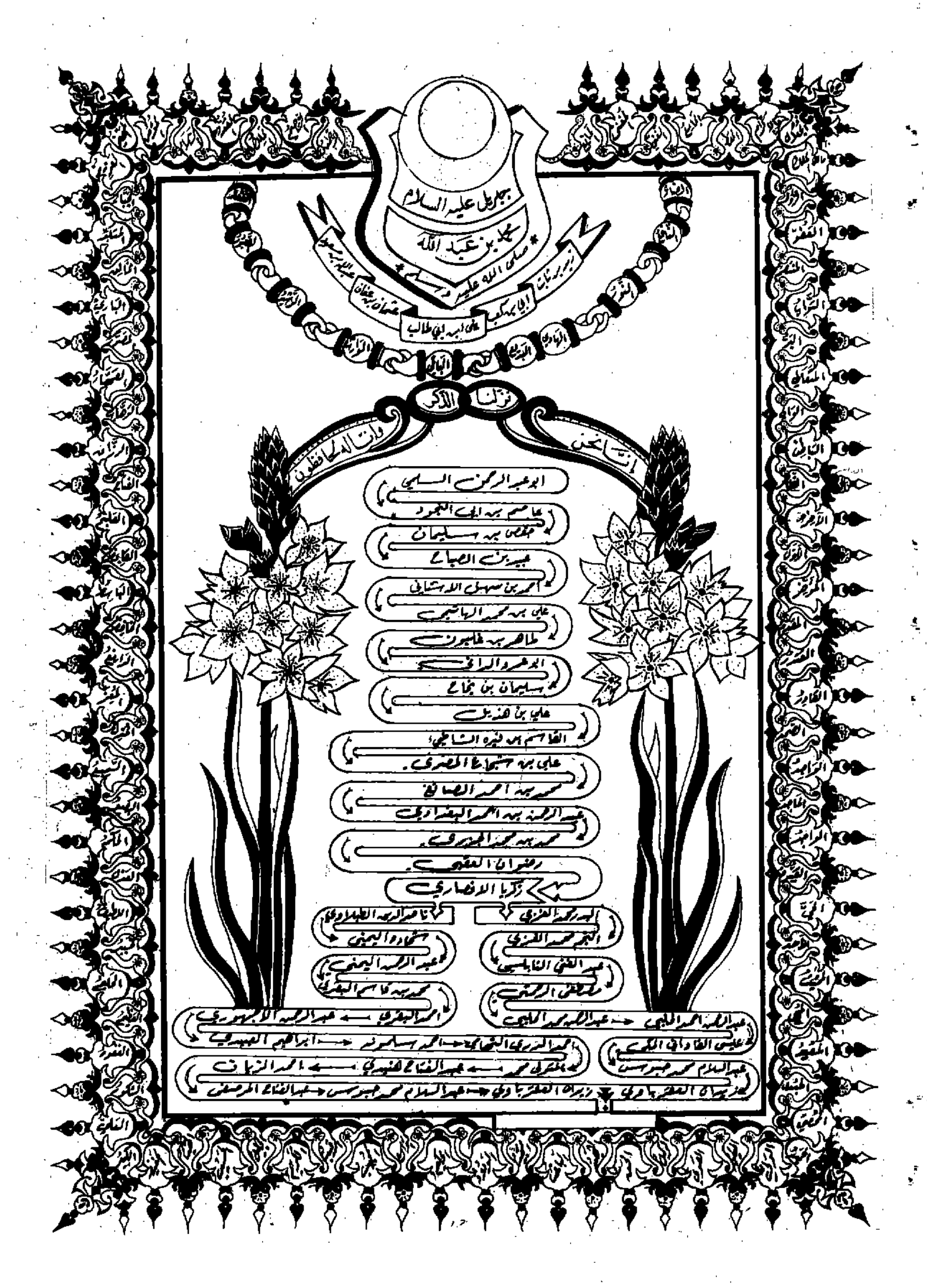
ولقد من الله علي بنعمةالعلو، فقد اتصلت اسانيدي بالعلوم الشرعية كلها من قرآن وعلومه وحديث وعلومه وفقه واصوله ونحو ولغة وأدب وغير ذلك من الفنون، وها أنا اسوق لك اخي القارىء اعلى ما وقع لي من اسانيد تاركا الاكثار لأن فيه الملل، ومن رام الاكثار والطرق فعليه بأثبات مشايخي وأشياخهم رحمهم الله، ومقتصراً على اسانيدي بالقرآن الكريم، لأنه اشرف العلوم وأصدق الكتب، بل ماشرفت وعظمت الكتب الا به.

أروي عن شيخي واستاذي عبد السلام بن محمد بن ابراهيم بن حبوس - عن شيخه مسند العصر ابي الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي - عن شيخه عبد الرحمن بن احمد الحلبي المكي - عن شيخه عبد الرحمن بن محمد الكزبري - عن الشيخ مصطفى الرحمتي - عن شيخه عبد الغني النابلسي عن شيخه النجم محمد الغزي - عن والده البدر محمد الغزي - عن شيخ الاسلام زكريا الانصاري - عن الحافظ ابن حجر - عن الحافظ ابن الجزري.

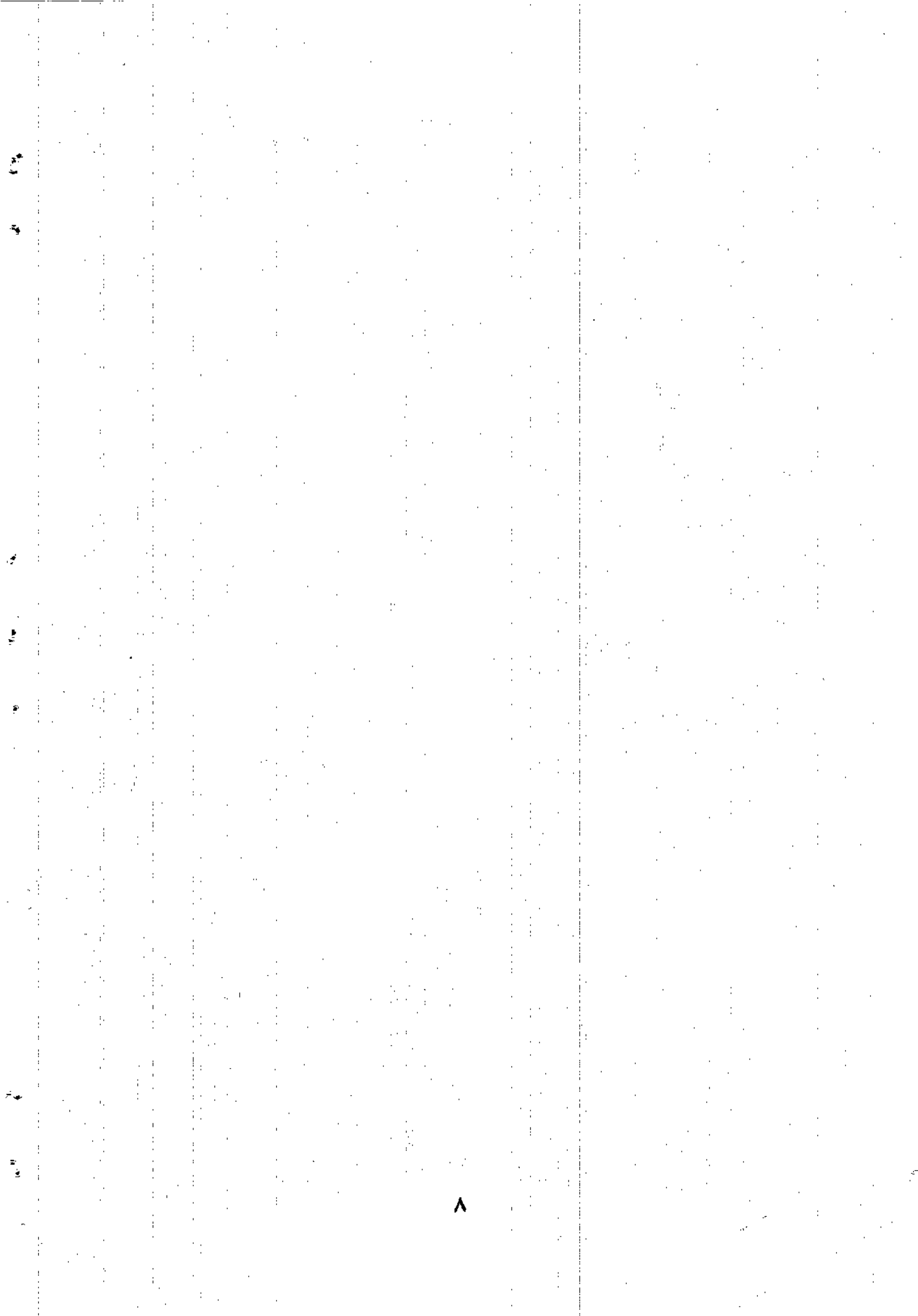
واعلم انه وقع لي رواية القرآن مسلسلاً بالقراء، حيث أرويه عن شيخي عبد السلام عن شيخه عبد الفتاح المرصفي عن شيخه أحمد الزيات عن مسند عصره عبد الفتاح

هنيدي عن شيخ المقرئين والمحدثين في عصره محمد المتولي عن شيخه احمد البدري الشهير بالتهامي عن احمد بن محمد المعروف بسلمونه عن شيخه السيد ابراهيم العبيدي كبير المقرئين في وقته عن سبط القطب الخضيري الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عمر الاجهوري عن العلامة ابي السماح احمد البقري عن شمس الدين محمد بن قاسم عن الشيخ عبد الرحمن اليمني عن والده الشيخ شحاده اليمني عن شيخ اهل زمانه ناصر الدين الطبلاوي عن شيخ الاسلام زكريا الانصاري عن ابي النعيم رضوان بن محمد العقبي عن الحافظ بن الجزري.

وارويه من طرق اخرى مسلسلاً بالقراء، أعلى اسناداً من هذا، اوافق في بعضها شيخ القراء الضباع رحمه الله، واوافق مشايخه في البعض الآخر، وانما خصصت هذا لشهرة رواته وشهرته عند المتأخرين.

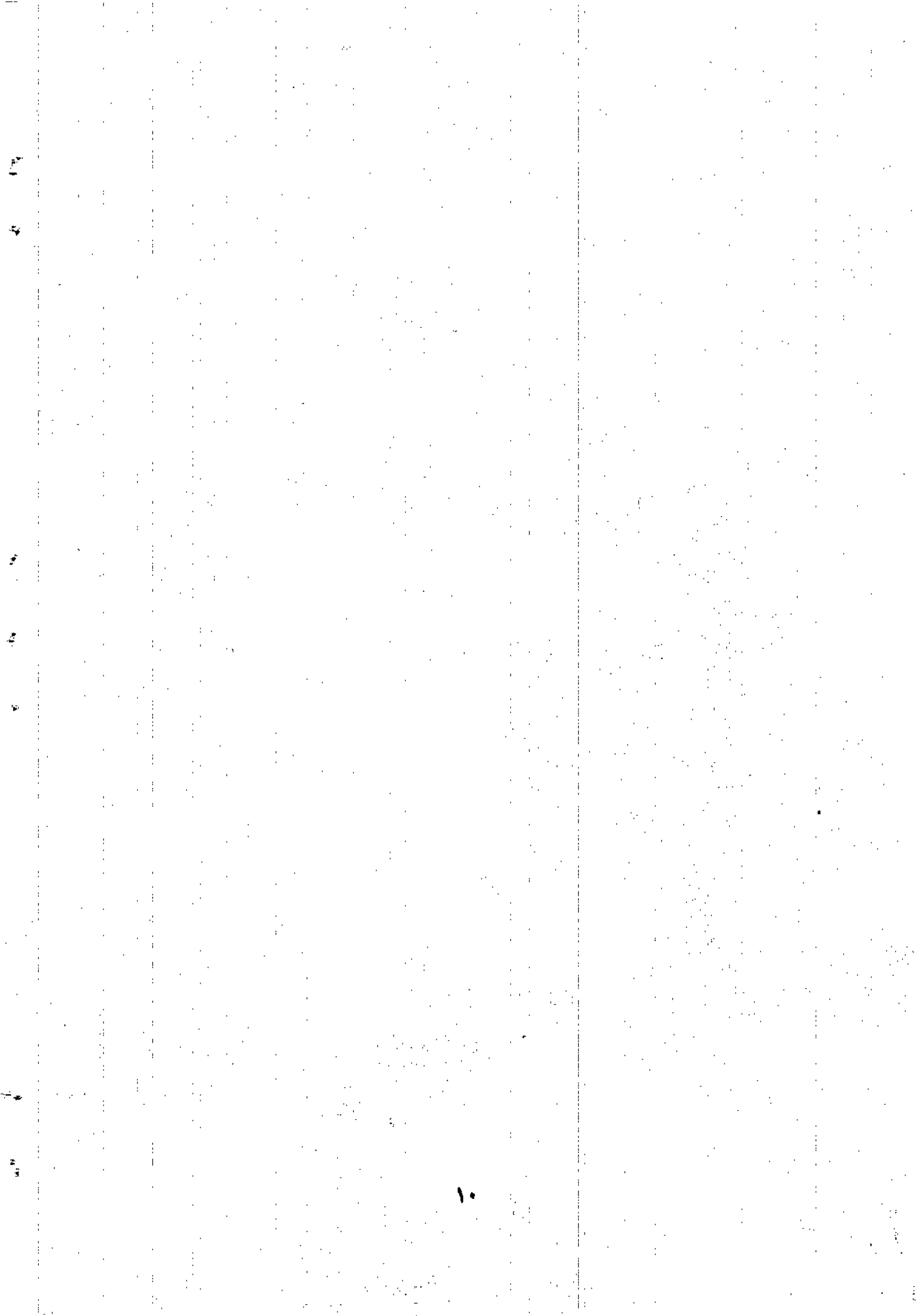


جبريل عليه السلام
محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم
أبي بن كعب
زيد بن ثابت
عبد الله بن مسعود
عثمان بن عفان
علي ابن أبي طالب
إنا نحن
نزلنا
الذكر
وإنا له لحافظون
ابو عبد الرحمن السلمي
عاصم بن ابي النجود
حفص بن سليمان
عبيد بن الصباح
احمد بن سهل الاشناني
علي بن محمد الهاشمي
طاهر بن غلبون
ابو عمرو الداني
سليمان بن نجاح
علي بن هذيل
القاسم بن فيره الشاطبي
علي بن شجاع المصري
محمد بن احمد الصائغ
عبد الرحمن بن احمد البغدادي
محمد بن محمد الجزري
رضوان العقبي
زكريا الانصاري
احمد محمد الغزي
ناصر الدين الطبلاوي
شحاذة اليمني
عبد الرحمن اليمني
محمد بن قاسم البقري
احمد البقري
عبد الرحمن الاجهوري
عبد الغني النابلسي
مصطفى الرحمتي
عبد الرحمن الحلبي
عبد الرحمن احمد الحلبي
ابراهيم العبيدي
احمد سلمونة
احمد الزيات
عيسى القاداني
عبد السلام محمد جبر حسن
عبد الفتاح المرصفي



الفصل الاول

الباب الاول : تعليم القرآن
الباب الثاني : فضل حفظ القرآن الكريم وتحفيظه
الباب الثالث : نظار المصاحف
الباب الرابع : سماع القرآن



الباب الأول
تعليم القرآن

الحمد لله الذي علم القرآن وزين الانسان بنطق اللسان، فطوبي لمن يتلو كتاب الله حق تلاوته، ويواظب آناء الليل واطراف النهار على دراسته.

اللهم اني عبدك، وابن عبدك، وابن امتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك،عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي.

اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما ابقيتني، وارحمني بترك مالا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، والزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، ونور به بصري، واشرح به صدري، واجعلني أتلوه كما يرضيك مني، وافتح به قلبي واطلق به لساني، اللهم انا نعوذ بك من الشقاء في حمله، والجور عن حقه، والغلو في قصده، والتقصير دون واجبه. اللهم إنك جعلته نجاة فنجنا به من كل هلكة، وجعلته عصمة فاعصمنا به من كل بدعة وشبهة، اللهم الزم به قلوبنا السكينة والوقار، والفكرة والاعتبار، والتوبة والاستغفار، حتى لا نشتري به ثمناً ولا نبتغي به بدلاً، ولا نؤثر عليه عرضاً من اعراض الدنيا أبداً، انك سميع الدعاء.

وبعد : روى الامام مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه قال: ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١).

قال العلماء رحمهم الله تعالى : «النصيحة لكتاب الله تعالى هي الايمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، ولا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها، والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف على أحكامه وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء اليه»(٢).

(١) حديث صحيح رواه مسلم (٢ - ٣٧).
(٢) البيان في اداب حملة القران (٨٥).

وبما ان الانسان لا يشرف إلا بما يعرف، ولا يفضل الا بما يعقل، ولا ينجب الا بمن يصحب، وكان القرآن أعظم كتاب منزل، كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل رسول بعث، وكانت أمته من العرب والعجم أفضل أمة أخرجت للناس، وكان حملته وقراؤه ومقرئوه أفضل هذه الأمة، وكان أعظم ما يتقرب به الى الله تلاوة القرآن.

روى الترمذي بسنده عن الحارث الأعور عن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم، قيل: فما النجاة منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الاتقياء، من علم علمه سبق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم»(١).

ولما خص الله جل شأنه هذه الأمة المحمدية بهذا الكتاب الكريم، تكفل سبحانه بحفظه فقال جل من قائل: «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»(٢). ثم خص به من شاء من عباده، الذين هم أهل الله وأصفياؤه فقال: «ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»(٣).

ولقد خص الله من اصطفاهم بحفظه بالأمانة في الأداء الى من بعدهم، حسب ما تلقوه بالسند الصحيح الى النبي صلى الله عليه وسلم، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً، ولا اثباتاً ولا حذفاً، وكان الاعتماد في نقله على حفظ الصدور لا على نقله من الكتب والمصاحف، وهذه خصوصية من الله تعالى الى هذه الامة المباركة، ولقد ذكر القرآن الكريم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه لا يستطيع أن يبدله: «قل ما يكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي، إن اتبع الا ما يوحى إلي»(٤)، وإذا كان هذا حال الرسول صلى الله عليه وسلم فأولى منه الصحابة والتابعون ومن بعدهم، لا يستطيع أحد منهم أن يغير منه شيئاً.

والحقيقة أن القرآن معجز بكل ما يحتمله هذا اللفظ من معنى، وهو معجز بعلومه

(١) التبيان في علوم القران (٨٥).
(٢) سورة الحجر آية ٩ .
(٣) سورة فاطر آية ٣٢ .
(٤) سورة يونس آية ١٥ .

ومعارفه، وهو معجز في تشريعه، معجز في بيانه ولفظه، واسلوبه، إن القراءة كالاشعة المنعكسة من نور القرآن، كلما عظمت قوة المؤثر عظمت معه قوة الأثر.

إن هذا الدين خليق بأن تكون عنايته وعناية حامليه، مركزة على قراءة القرآن الذي نزل من السماء وكان خاتم الكتب، وعلى حفظه وقراءته وعلى اتقان هذه القراءة، وتصحيحها وضبطها وتحقيقها، وتدوين العلوم التي تنبثق عن هذا العلم، وتحري الصحة والدقة والأمانة في نقلها من جيل الى جيل، ومن عصر الى عصر، ومن رجال الى رجال، ومن كتاب الى كتاب، ومن صدر الى صدر، ومن فم الى فم، ومن لسان الى لسان، فيقرأ القرآن في هذا العصر كما قرئ في عصر نزوله، كأنه شريط مسجل لقوله تعالى: «إن علينا جمعه وقرآنه»(١).

والحاصل أن تحرير رسوم الحروف والكلمات، ومخارج الحروف والصفات، وترتيب السور والآيات، والقراءات المتواترة، أن جبريل عليه السلام قد أخبر وعلم النبي عليه الصلاة والسلام كل واحدة من هذه الاحكام.

وفي العرضة الأخيرة خاصة لتبقى العرضة على الشيوخ في الأمة إتباعاً له صلى الله عليه وسلم، وليأخذوا القرآن بكمال الأخذ عن أفواه المشايخ المتصلة الى الحضرة النبوية، وليصل اليهم الفيض الالهي والاسرار القرانية، والبركات الفرقانية، فإنها لا تحصل الا بتعلمهم القرآن من افواه المشايخ المسلسلة، وليكتب كمال الثواب بعرضهم القرآن على المشايخ(٢).

واعلم أن الانسان كثيراً ما يعجز عن اداء الحروف رغم معرفته مخارجها وصفاتها من المؤلفات، حتى يسمعها من فم الشيخ المتقن.

لكن لما طالت سلسلة الأداء، تخللتها اشياء من التحريفات في اداء اكثر شيوخ الاداء – خاصة في زماننا الحاضر، والشيخ الجامع بين الرواية والدراية، والمتفطن لدقائق الخلل في المخارج والصفات أعز من الكبريت الاحمر، فوجب علينا – والحال على ما اسلفت – أن لا نعتمد على شيوخنا كل الاعتماد.

بل نتأمل فيما أودعه العلماء في كتبهم من بيان مسائل هذا الفن واختلاف مدارسهم ومشاربهم، ونقيس ما سمعناه من الشيوخ على ما اودع في هذه الكتب – كذا ذكر مثله ساجقلي في البيان –

---

(١) سورة القيامة آية ١٧ .
(٢) الاتقان في علوم القران.

فكيف لا نتعلم القرآن – مع كثرة جهلنا، وعدم فصاحتنا وبلاغتنا – من المشايخ الماهرين في علم التجويد؟

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال فصاحته ونهاية بلاغته تعلم القرآن عن جبريل عليه السلام في جمع من السنين، خصوصاً في السنة الأخيرة التي توفي فيها مع افضليته على جبريل عليه السلام.

وأما بعض علماء زماننا فانهم إذا وجدوا أهل الأداء في أعلى المراتب والوظائف تعلموا منهم، وان وجدوهم في ادنى المراتب تعلوا عنهم، استكباراً عن الرجوع اليهم، كما قال صاحب تهذيب القرآن: وقد رأينا بعض من يسمى بالتكميل لا يقدر على قراءة قدر ما تجوز به الصلاة، وهو قد يتصدى للتقوى وقد هدم التقوى من اساسها، ويتورع عن الشبهات ويفسد الصلاة كل يوم خمس مرات، ويتخذ ورداً يريد ان يعبد الله تعالى بالسيئات، ثم انه يستحي من الناس أن يقعد بالعمامة الكبرى ورداء العلماء بين يدي معلم من أهل الاداء، فإن ذلك من وظائف المبتدئين وهو قد صار من المدرسين الفضلاء «وذكر مثله الحسيني رحمه الله في القول السديد».

نعم ان اكثر علماء زماننا يشتغلون بعلوم دنيوية وعلوم غير نافعة، ويتركون الأهم والالزم، كالذين يهتمون بالحياة المادية والاشتغال بالعلوم الآلية مدة حياتهم، بل يفنون أعمارهم فيها، ثم يفتخرون ويتكبرون بسببها، ويحسبون انهم يحسنون صنعاً، فما ظنك في حق العلم الذي تكون ثمرته ونتيجته عجباً وكبراً، قال تعالى : «وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا»(١).

فالدنيا عرض زائل، وهي طريق الآخرة، من زرع فيها الخير حصد، وليس من الدين ترك إعمارها، وان تعيش عالة على الناس، بل العمل والجد والغنى من طريق الحلال، واعلم ان الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يعظم حلمك وان ينفعك علمك، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. «إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة»(٢)، «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون»(٣). فياعمار الدنيا، لقد عمرتم داراً موشكة بكم زوالاً.

عمرتم بيوتاً لغيركم منافعها وسكناها، وخربتم بيوتاً ليس لكم مساكن سواها، ان

---

(١) سورة القصص آية ٧٧ .
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ١٨٧٩ .
(٣) سورة الروم آية ٧ .

الاسلام يدفع المسلم نحو عمارة الارض والتنافس بالعمل الصالح، فهو لم يستخلفه ليهجر الدنيا ويخاصمها، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع»(١)، والعلم زرع، ومن زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، فمن اعطي خيراً فالله اعطاه، ومن وقي شراً فالله وقاه، ومصالح الآخرة لاتتم الا بالدنيا، وجعل الدنيا فرصة لامتحان قوانا على اخضاعها لسلطان الله والمتقون سادة، والقراء قادة، ومجالستهم زيادة، فزاحمهم بركبك، ولا تستكبر عن كتاب ربك، وكن حذراً من اربع غارات: غارة ملك الموت على روحك، وغارة الورثة على مالك، وغارة الدود على جسمك، وغارة الخصماء على حسناتك، اجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهاداً شديداً، فقيل له: لو أمسكت ورفقت بنفسك؟

قال : إن الخيل إذا ارسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من اجلي اقل من ذلك، فنعوذ بالله من تقصير الهمم، ونسأل الله التوفيق وحسن العمل، وان يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وان ينفعني به يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وان يجعلني من حفظة القرآن العاملين به الذين هم أهل الله وخاصته انه هو السميع المجيب.

(١) صحيح الترغيب ٦٨ .

الباب الثاني
فضل حفظ القرآن الكريم

حفظ القرآن الكريم فرض كفاية، وكذلك تعليمه، والمعنى فيه ألا ينقطع عدد التواتر فيه، ولا يتطرق اليه التبديل والتحريف.

وهو أشرف العلوم، وحملته أشرف الناس، حث الله على تعليمه وترتيله، روى البخاري عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وعن ابن عباس قال: قال صلى الله عليه وسلم «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»، ثم ان الاعتماد في نقل القرآن إنما يكون على حفظ القلوب والصدور، «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» (العنكبوت)، لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن ربي قال لي، قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: رب إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: إني مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرأه نائما ويقظان، فابعث جنداً ابعث مثلهم، وقاتل بمن اطاعك من عصاك، وانفق ينفق عليك» فاخبر تعالى ان القرآن لا يحتاج في حفظه الى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرأه في كل حال، كما جاء في صفة أمته «أناجيلهم في صدورهم».

نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت همته منصرفة الى حفظه واستظهاره، ولقد بلغ من شدة حرصه على حفظه انه كان يحرك به لسانه فور سماعه من جبريل عليه السلام، مخافة ان يفلت منه شيء، ولكن الله طمأنه بأن وعده أن يجمعه في صدره، وان يسهل له حفظه وفهم معناه، قال تعالى: «لا تحرك به لسانك لتعجل به، ان علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم ان علينا بيانه» القيامة آية (١٦ - ١٩).

ولقد اقتدى الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يتعاهدون القرآن قراءة وحفظاً، وقد كثر فيهم القراء، فمنهم من حفظ القرآن كله، ومنهم اكثره، ولقد ابدى الصحابة عناية فائقة بكتاب الله، فكانوا لا يغادرون الآية اذا نزلت حتى يحفظوها عن ظهر قلب، ويفهموا ما فيها ويعملوا بها، وظهر منهم القراء، وكان القرآن فيهم مصدر السعادة، فهو حديثهم في مجالسهم وعبادتهم، وفي بيوتهم ومساجدهم، حتى في جهادهم كان أمراؤهم وقادتهم يأمرونهم بقراءة القرآن، فاذا دخلت معسكرهم

اختلط عليك انين الجرحى باصوات قراء القرآن، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى، خاطب به البشر، فمن قرأه كان جليساً لله تعالى، وما اعظم هذه المجالسة، وأعظم بمجلس يحادث الانسان فيه ربه. فاذا اردت الكلام مع الله، انت تتكلم وهو يسمع فادخل في الصلاة، وإذا اردت الكلام مع الله هو يتكلم وانت تسمع فاقرأ القرآن، وكانوا يديمون الصلة بالله بقراءة كتابه، فيصلون عبادة الليل بعبادة النهار ليبقوا دائماً في محاريب الطاعة، فالنفوس اذا عشقت شيئاً ألفته، وقد عشقت نفوسهم القرآن، فكان مصدر عزتهم وكرامتهم، وانقذهم من الظلمات الى النور، وجعلهم سادة البشر وقادة الدنيا.

قال المدائني «لما ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟

فمن قرأ القرآن منهم وحفظه قدروه وأجازوه، ومن لم يقرأه ولم يحفظه أنبوه وهجروه وحبسوه عندهم حتى يقرأ، ووكلوا به من يعلمه(١)، وقال عتبة بن عمرو بن أبي سفيان لعبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني مؤدب ولده: علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه فيملوه، ولاتتركهم فيهجروه(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد يكفن الاثنين بثوب زيادة على ملابسهم التي لا تستر كل الجسم، او يقسم او يلف كل واحد بقطعة منه ثم يقول: «أيهما اكثر اخذا للقرآن» (أي حفظاً له) فإذا اشير له الى أحدهما قدمه في اللحد (الى القبلة) وقال: «انا شهيد على هؤلاء يوم القيامة انهم بذلوا ارواحهم» وأمر بدفنهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم، رواه الخمسة الا مسلما.

قال محمد بن مسلم الزهري في خبر وفوده على عبد الملك بن مروان: دخلت عليه فسألني: هل تحفظ القرآن؟ قلت: نعم والفرائض والسنن، فسألني عن ذلك كله فأجبته، فقضى ديني وأمر لي بجائزة(٣).

وكان الوليد بن عبد الملك «يبر حملة القرآن ويكرمهم ويقضي عنهم ديونهم»(٤).

وقال المدائني : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من بني مخزوم يسأله في دينه، فقال: نعم ان كنت مستحقاً لذلك، قال: يا أمير المؤمنين وكيف لا اكون مستحقاً لذلك مع

(١) العيون والحدائق ٣/١١ والبداية والنهاية ٩/١٦٥ .
(٢) العقد الفريد ٢/٤٣٦ .
(٣) البداية والنهاية ٩/٣٤ .
(٤) البداية والنهاية ٩/١٦٥ .

قرابتي؟ قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: أدن مني، فدنا منه، فنزع عمامته بقضيب كان في يده، وقرعه قرعات بالقضيب، وقال لرجل: ضُمّ هذا إليك، فلا يفارقك حتى يحفظ القرآن، فقام اليه عثمان بن يزيد بن خالد فقال: يا أمير المؤمنين، إن علي ديناً، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات من الانفال، وعشر آيات من براءة فقرأ، فقال: نعم، نقضي عنكم، ونصل ارحامكم على هذا(١).

وقال صلى الله عليه وسلم : «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيايتان(٢)، او كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجان عن اصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» مختصر مسلم حديث صحيح.

عن محمود بن لبيد ان أسيد بن حضير كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فقرأ ليلة وفرسه مربوط عنده وابنه نائم الى جانبه، فأدار الفرس في رباطه، فقرأ فأدار الفرس في رباطه، فانصرف فأخذ ابنه وخشي أن يطأه الفرس، فاصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ أسيد، قال: فقرأت فادار الفرس في رباطه، قال: فانصرفت الى رسول الله وخشيت أن يطأ الفرس ابني، قال: فإن الملائكة لم تزل يسمعون صوتك فلو قرأت أصبحت ظلة بين السماء والارض يتراءاها الناس فيها الملائكة»(٣).

وعن ابي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان ليفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة، اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك اليوم عند آخر آية تقرؤها»(٥)، وجاء في لفظ «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(٦).

---

(١) العقد الفريد ٤/٤٢٤ .
(٢) كل شيء أظل الانسان فوق راسه..
(٣)اخرجه البخاري ٩/٦٣ .
(٤) اخرجه مسلم في صحيحه..
(٥) اخرجه ابو داود.
(٦) اخرجه الامام احمد في المسند ١٩/١٢٣ عن ابي هريرة بنص اسناده صحيح.

عن ابي هريرة قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا ذا عدة، فاستقرأ كل رجل منهم القرآن، فأتى على احدثهم سناً فقال: «ما معك من القرآن؟» قال معي كذا ومعي كذا ومعي سورة البقرة، فقال: «أمعك سورة البقرة؟»قال: نعم، قال: «اذهب فأنت أميرهم» فقال رجل: والله ما منعني ان اتعلم القرآن إلا خشية ان لا أقوم به، فقال: اقرأوا القرآن وتعلموا وإن لم تقوموا به، فإن مثل من تعلم القرآن وقرأه وقام به كمثل جراب مملوء مسكاً يفوح منه ريح المسك، ومثل من تعلم ورقد وهو في جوفه كمثل حامل جراب أوكي على مسك»[1] وفي هذا الامر بتعلم القرآن وقراءته ليكون حامله زكي الرائحة طيب النكهة عطراً، يقظاً او نائماً، فالسؤال عن القرآن: لأن العلم كله منه يؤخذ، وعنه يؤثر، وكان مقدار الرجل في العلم يعرف بما عنده من القرآن.

وقال قتادة : لم يجالس هذا القرآن أحد الا قام عنه بزيادة.

فمن تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم فإنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح «إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله، إنه غفور شكور»[2]، وعن عبيد الله بن عمرو بن العاص قال: من جمع القرآن فقد حمل امراً عظيماً، لقد ادرجت النبوة بين كتفيه غير انه لا يوحى اليه[3].

عن طارق الاشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من علم آية من كتاب الله عز وجل كان له ثوابها ما تليت» اخرجه ابو سهل القطان في حديثه على شيوخه.

وكان أنس اذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعالهم[4]، وعن مجاهد قال: الرحمة تنزل عند ختم القرآن، وكان يقال: ان الدعاء مستجاب عند ختم القرآن، وان السكينة تنزل للقرآن.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا حسد الا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[5].

---

(١) اخرجه الترمذي في سننه ٤/٢٢٣ وابن ماجه وذكره ابن كثير وقال الترمذي هذا حديث حسن.

(٢) سورة فاطر اية ٢٩ .

(٣) رواه الحاكم ١/٥٥٢ سند الآجرى الموقوف ورواه الحاكم في اللآلي للسيوطي ١/٢٤٢ .

(٤) الرسالة ٩٣ رقم ٨٤ وسنده صحيح.

(٥) آخرجه الامام احمد في المسند ٨/٢ واخرجه البخاري ٧٣/٩ باب اغتباط صاحب القران

وقال صلى الله عليه وسلم: «اقرأوا القرآن، فانكم تؤجرون عليه، أما اني لا أقول (الم) حرف، ولكن الف عشر، ولام عشر، وميم عشر، فتلك ثلاثون»(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «اهل القرآن أهل الله وخاصته»(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «أيحب احدكم اذا رجع الى أهله ان يجد ثلاث خلفات عظام سمان؟ فثلاث آيات يقرأ بهن احدكم في صلاته خيرٌ له من ثلاث خلفات عظام سمان»(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم : «ايكم يحب أن يغدو كل يوم الى بطحان، أو الى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين زهراوين، في غير إثم، ولا قطيعة رحم، فلان يغدو احدكم الى المسجد، فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، واربع خير له من اربع، ومن اعدادهن من الابل»(٤)، وقال صلى الله عليه وسلم: «أبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبدا»(٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى: يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع آخرين»(٦)، وقال صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية....»(٧).

وقال صلى الله عليه وسلم: «القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده الى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه الى النار»(٨)، وقال الشاعر :

فشمر ولذ بالله واحفظ كتابه ... ففيه الهدى حقا وللخير جامع
هو الذخر للملهوف والكنز والرجا ... ومنه بلا شك تنال المنافع
به يهتدي من تاه في مهمة الهوى ... به يتسلى من دهته الفجائع

فحافظ القرآن العامل به أمات بالورع حرصه، وحسم بالتقى طمعه، وأمات بنور العلم شهوته.

إن قوماً الهتهم أماني المغفرة ورجاء الرحمة، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم اعمال صالحة، يقول احدهم: إني احسن الظن بالله وارجو رحمة الله، وكذب، لو احسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالاعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة من غير زاد ولا ماء ان يهلك.

(١) الاحاديث الصحيحة ٦٦٠ .
(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢١٦٥ .
(٣) حديث صحيح رواه مسلم.
(٤) صحيح ابي داود.
(٥) حديث صحيح الصحيحة ٧١٣ .
(٦) مختصر مسلم ٢١٠٢ .
(٧) الروض النضير ٥٨٢ .
(٨) حديث صحيح/الصحيحة ٢٠١٩ .

فتصبروا وتشددوا فإنما هي ليال تعد، وانما انتم ركب وقوف، يوشك ان يدعى احدكم فيجيب..

واعلم ان المؤمن أسير في الدنيا، يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل، انه كالغريب، للناس حال وله حال. يعلم انه محاسب في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه.

وفي كنز العمال بلفظ «من قرا القرآن فرأى ان من خلق الله من اعطي افضل مما اعطي، فقد صغر ما عظمه الله، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يحتد فيمن يحتد، ولا يجهل فيمن يجهل، ولكن يعفو ويصفح لعز القرآن» كنز العمال ١/٥٢٥، وفي مجمع الزوائد ٧/١٥٩ عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلفظ « من قرأ القرآن فكانما ادرجت النبوة بين جنبيه غير انه لا يوحى اليه، ومن قرأ القرآن فرأى ان احداً أعطي افضل مما أعطي فقد عظم ما صغر الله، وصغر ما عظمه الله، وليس ينبغي لحامل القرآن ان يسفه فيمن يسفه، أو يغضب فيمن يغضب، او يحتد فيمن يحتد، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن.

وقال الخطابي: جاء في الأثر ان عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، يقال للقارىء ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من اي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على اقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءاً منها كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة» مختصر سنن ابي داود ٢/١٣٦ والترغيب ٢/٥٨٦ .

تزود من حيـــاتك للمعاد ... وقم لله واجمع خير زاد

ولا تركن الى الدنيــا كثيرا ... فان المال يجمع للنفــاد

اترضى ان تكون رفيق قوم ... لهــم زاد وانت بغير زاد

لقد حرك الداعي الى الله والى دار السلام النفوس الأبية والهمم العلية، وأسمع منادي الايمان من كانت له اذن واعية، واسمع الله من كان حياً.

وبعد، فقد قال الامام ابن الجزري في طيبة النشر :

وبعد فالانسان ليس يشرفُ ... الا بما يحفظـــــه ويعرفُ

لذاك كان حاملـــو القرآن ... أشراف الامة أولي الاحسان

وانهم في الناس أهــل الله ... وإن ربنا بهـــــم يباهي

وقال في القرآن عنهم وكفى ... بأنه اورثـــه من اصطــفى

وهو في الاخرى شافع مشفَعُ		فيه وقوله عليه يُسمــع
يعطى به الملك مع الخلـد إذا		توجه تاج الكرامة كذا
يقرا ويرقى في درج الجنــان		وابواه منه يكســيان
فليحرص السعيد في تحصيله		ولا يملّ قط من ترتيلـه

والقـرآن الكريم أفـضل مـا اشـتـغل به أهل الايمـان، وأولى مـا عـمـرت به الاوقـات والازمان... جعلنا الله من أهله بمنه وفضله.

الباب الثالث
فضل نظار المصاحف

قال ابو الطيب عبد المنعم بن عبد الله بن غلبون المقرىء، أخبرنا ابو بكر محمد بن نصر السامري قال: حدثنا سليمان ابن جبلة قال، حدثنا ادريس بن عبد الكريم الحداد قال: حدثنا خلف بن هشام البزار قال: قال لي سليم بن عيسى: دخلت على حمزة بن حبيب الزيات فوجدته يمرغ خديه في الارض ويبكي، فقلت: اعيذك بالله، قال: يا هذا استعذت في ماذا؟

فقال : رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت، وقد دعي بقراء القرآن، فكنت فيمن حضر، فسمعت قائلا يقول بكلام عذب: لا يدخل عليّ إلا من عمل بالقرآن، فرجعت القهقرى، فهتف باسمي: أين حمزة بن حبيب الزيات؟

فقلت : لبيك داعي الله لبيك، فبدرني ملك فقال : قل: لبيك اللهم لبيك، فقلت كما قال لي، فأدخلني دارا، فسمعت فيها ضجيج القرآن فوقفت أرعد، فسمعت قائلا يقول: لا بأس عليك، ارق واقرأ، فادرت وجهي، فإذا انا بمنبر من در أبيض دفتاه من ياقوت اصفر، مرقاته زبرجد أخضر، فقيل لي: ارق واقرأ، فرقيت، فقيل لي: اقرأ سورة الانعام، فقرأت وأنا لا ادري على من أقرأ، حتى بلغت الستين آية، فلما بلغت «وهو القاهر فوق عبادة» قال لي: يا حمزة، ألست القاهرة فوق عبادي؟ قال: فقلت بلى، قال: صدقت، اقرأ، فقرأت حتى تممتها، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت «الأعراف» حتى بلغت آخرها، فأومأت بالسجود، فقال لي: حسبك ما مضى، لا تسجد ياحمزة، من أقرأك هذه القراءة؟ فقلت: سليمان، قال: صدقت، من أقرأ سليمان؟ قلت: يحيى، قال: صدق يحيى، على من قرأ يحيى؟ فقلت: على أبي عبد الرحمن السلمي. فقال: صدق ابو عبد الرحمن

السلمي. من أقرأ أبا عبد الرحمن السلمي؟ فقلت: ابن عم نبيك علي بن ابي طالب. قال: صدق علي. من أقرأ علياً؟ قال: قلت: نبيك صلى الله عليه وسلم. قال: ومن أقرأ نبيي؟ قال: قلت: جبريل. قال: ومن أقرأ جبريل؟ قال: فسكت. فقال لي: ياحمزة، قل: أنت. قال: فقلت: ما أجسر أن أقول أنت. قال: قل أنت. فقلت: أنت. قال: صدقت يا حمزة. وحق القرآن، لأكرمن أهل القرآن، سيما اذا عملوا بالقرآن. ياحمزة، القرآن كلامي، وما أحببت أحداً كحبي لأهل القرآن. ادن ياحمزة. فدنوت فغمز يده في الغالية ثم ضمخني بها، وقال: ليس أفعل بك وحدك. قد فعلت ذلك بنظرائك، من فوقك، ومن دونك، ومن أقرأ القرآن كما اقرأته لم يرد به غيري، وما خبأت لك ياحمزة عندي اكثر، فأعلم اصحابك بمكاني من حبي لاهل القرآن، وفعلي بهم ، فهم المصطفون الأخيار، يا حمزة، وعزتي وجلالي لا أعذب لساناً تلا القرآن بالنار، ولا قلباً وعاه، ولا أذناً سمعته، ولا عيناً نظرته. فقلت: سبحانك سبحانك أي رب ... فقال: ياحمزة: أين نظار المصاحف؟ فقلت: يارب، حفاظهم؟ قال: لا، ولكني احفظه لهم حتى يوم القيامة، فإذا أتوني رفعت لهم بكل آية درجة. ثم قال: افتلومني ان ابكي، واتمرغ في التراب(١).

الباب الرابع
فضل سماع القرآن

أنزل الله تعالى القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم، وأعلمه فضل ما أنزل عليه، وأعلم خلقه في كتابه وعلى لسان نبيه، أن القرآن عصمة لمن اعتصم به، وهدى لمن اهتدى به، وغنى لمن استغنى به، وحرز من النار لمن اتبعه، ونور لمن استنار به، وشفاءً لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، ثم أمر الله خلقه أن يؤمنوا به، ويعملوا بحكمه، فيحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، ويؤمنوا بمتشابهه ويعتبروا بأمثاله ويقولوا «آمنا به كل من عند ربنا» ثم وعدهم على تلاوته والعمل به النجاة من النار والدخول الى الجنة، ثم ندبهم اذا هم تلوه ان يتدبروه ويتفكروا فيه بقلوبهم، واذا سمعوه من غيرهم أحسنوا استماعه، ثم وعدهم على ذلك الثواب الجزيل. فقال جل من قائل: «وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون»(٢). قال صلى الله عليه وسلم «من استمع الى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المتقن ابي الحجاج المزي ٢٣ز/ ٧ .
(٢) سورة الاعراف آية ٢٠٤ .

نوراً يوم القيامة»(١). فكلام ربنا حسن لمن تلاه، ولمن استمع اليه، فحسن استماعهم يبعثهم الى التذكرة فيما لهم وعليهم «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» فالمستمع بأذنيه يجب ان يكون شاهداً بقلبه، ما يتلو وما يسمع، لينتفع بتلاوة القرآن «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» ومن تدبر كلام الله عز وجل، عرف الله عز وجل، وعرف عظيم سلطانه وقدرته وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب فحذر مما حذره مولاه الكريم، ورغب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته القرآن وعند استماعه من غيره، كان القرآن له شفاء، فاستغنى بلا مال، وعز بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره.

قال الحسن : الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر، نعم : رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأل الزيادة، وإن خالف كتاب الله أعتب نفسه ورجع وتاب من قريب(٢).

---

(١) تفرد به الامام احمد.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول ٣٣٥ – ٣٣٦.

الفصل الثاني

العوامل المساعدة على حفظ القرآن الكريم



العوامل المساعدة على حفظ القرآن الكريم وتحفيظه

١ - قال تعالى : «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» سورة القمر.
اسلوب القرآن غاية في الكمال، اسلوب يراعي مستوى الافهام، فسهله الله للذكر ويسره للحفظ والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهراً الا القرآن. فقد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده، بحيث يسهل للصغير والكبير والعربي والعجمي، فهل من طالب لحفظ ليعان عليه؟ فالقرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى فوقه.
٢ - القرآن سبب عز الدنيا وسعادة الآخرة - فهو مصدر التشريع في الدنيا والشفيع في الآخرة، قال صلى الله عليه وسلم : «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أوْ كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، أقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» رواه مسلم.
والاحاديث المرغبة في حفظ القرآن وسوره اكثر من ان تحصى، فالأجر العظيم الذي وعده الله قاريء القرآن، من شأنه ان يحبب الناس في قراءته، ويدفعهم الى حفظه، ولولا ثواب العاملين لفترت الهمم.
٣ - المعلم المؤهل السمح، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بتبليغه لهم، بل عين غيره من الصحابة المجيدين، فقد روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خذوا القرآن من اربعة: من ابن ام عبد - فبدأ به - ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة». وفي رواية عنه ايضاً «استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى ابي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل». فعين من يقرىء الناس، فهو مصدر التشريع، والقائم على تطبيق الاحكام.
ومع كثرة الصحابة المتقنين، وبهذا الاهتمام العظيم بالقرآن، اتقنه الالوف من الصحابة، واهتموا به وحفظوه على مدى السنين الأولى من صدر الاسلام.
٤ - صفاء النفس وحضور الذهن - كان الصحابة من أمة يضرب بها المثل في الذكاء والالمعية وصفاء النفس، حتى لقد كان الواحد منهم يحفظ ما يسمعه من أول مرة، وكانت أيامهم ووقائعهم وأنسابهم تسجل في صدورهم - بسبب صفاء البيئة والحياة الاجتماعية المتجردة من المشاغل المعوقة عن الحفظ، وعن حياة الترف المرهقة للفكر والصارفة عن الاستقرار - اذ لاشك ان الانسان ببعده عن الشواغل والمنغصات اقدر على التركيز والحفظ والفطنة.

٥ – قراءة القرآن سبب للهداية.

وذلك لارتباط القرآن بالحياة اليومية، ولعل هذه هي الحكمة التي اقتضت نزول القرآن منجماً مفرقاً على اكثر من عشرين سنة، وتلك سياسة من الله حكيمة في تربية الأمة واستدراج القارىء الى التدبر والاهتداء بهدي القرآن. فحري بمن يقرأ القرآن ان يتدبره. فقد يبتدىء الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف في الدنيا، فلا يزال به فهم العلم حتى يبين له انه على خطأ في اعتقاده، فيثوب في ذلك ويخلص النيه لله تعالى، فينتفع بذلك ويحسن حاله.

قال مجاهد : لقد طلبنا العلم لغير الله فما زال العلم بنا حتى ردنا الى الله تعالى.

٦ – تدبر القرآن وفهم معانيه – فما اقبح حامل القرآن أن يتلو الفرائض والاحكام عن ظهر قلب وهو لايفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما اقبح أن يسأل عن فقه ما يتلو فلا يدريه.

قال الغزالي : كان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها، اعادها ثانية ليفرغ قلبه وليفهم معناها، وعليه ان يعرف المكي من المدني، فيقوى بذلك على معرفة الناسخ والمنسوخ، لأن المدني هو ناسخ للمكي في اكثر القرآن، ولان المنسوخ هو المتقدم في النزول على الناسخ له. وكذلك معرفة اسباب النزول.

٧ – تعهد القرآن والتعبد به في الصلاة وغيرها – فالصلاة التي هي عماد الدين ليس للمرء من ثوابها الا بمقدار ما عقل منها وما تفكر وتدبر. فآفة العلم النسيان . ولا يدرك العلم الا بالصبر، والحفظ لا ينال الا بالجد والاجتهاد. فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بئسما لأحدهم يقول: نسيت آية كيت وكيت. بل: هو نُسّي، استذكروا القرآن، فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها» متفق عليه واللفظ لمسلم، ومن طريق موسى بن عقبه عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «انما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة، إن عاهد عليها امسكها، وان أطلقها ذهبت، واذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، واذا لم يقم نسيه «رواه مسلم» وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح

آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلا، اذا مر بآية فيها تسبيح سبح، واذا مر بآية فيها سؤال سأل، واذا مر بتعوذ تعوذ «رواه مسلم، وفي حديث: رأيت الليلة في الصحيح ٣٤٦٢»..
«واما الرجل الذي رأيت مستلقياً على قفاه فرجل آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به في النهار، فهو يفعل به ما رأيت الى يوم القيامة...» الحديث.

فمن فعله صلى الله عليه وسلم نسترشد استحباب ترديد المصلي بالآيات التي يحفظها استذكاراً للقرآن وتثبيتاً لحفظه، وفي ذلك يقول الامام الشاطبي في ناظمة الزهر:

هم بحروف الذكر مع كلماته　　وآياته أثـــروا بأعـــدادها الكثر

وهاموا بعقد الآي في صلواتهم　　لحض رسول الله في حظها المثري

وقد صح عنه أن إحراز آيـــة　　لأفضل من كوم من الإبــل الحمر

وقال صلى الله عليه وسلم : «أيحب احدكم اذا رجع الى اهله ان يجد ثلاث خلفات عظام سمان(١)؟ فثلاث آيات يقرأ بهن احدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان» فحض صلى الله عليه وسلم على قراءة القرآن ومراجعة الحفظ في الصلاة.

٨ - **الالتزام بالحفظ على شيخ من خمس الى عشر آيات**، فالمعلم الأول للقرآن الكريم هو جبريل عليه السلام، وفي بدء الوحي كانت الآيات الأولى الخمس من سورة العلق: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم» هذا اول خطاب الهي وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه دعوة الى القراءة مبتدئاً ومستعيناً باسم ربك الجليل الذي خلق جميع المخلوقات، وانه علم العباد مالم يعلموا، ومن الواضح أنها كانت بداية قراءة التعليم بغية حفظ النبي صلى الله عليه وسلم القرآن متلقياً بذلك الرسالة.

فبداية الحفظ خمس آيات، كما بدأت أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها على هذه الأمة، وفي ذلك يقول موسى بن عبيد الله بن خاقان، في أول قصيدة نظمت في علم التجويد:

وحكمك بالتحقيق إن كنت آخذا　　على أحد ألا تزيد على عشر

وعن ابي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات، فلا يأخذون العشر الأخرى حتى يعملوا بما فيها من العلم والعمل، قال هشام بن عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده

---

(١) رواه مسلم.

«اول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرئه كل يوم عشراً، ليحفظ القرآن حفظ رجل يريد الكسب به»(١).

وقال زيد بن اسلم : كان أبي يقول لعيسى بن وردان: اقرأ على اخوتك كما كان ابو جعفر وشيبة بن نصاح يقرأ على كل رجل عشر آيات عشر آيات(٢).

وقال الحسن بن عيسى: «سمعت أبا بكر بن عباس يقول لابن المبارك: قرأت القرآن على عاصم بن أبي النجود فكان يأمرني أن أقرأ عليه كل يوم آية لا أزيد عليها، ويقول: إن هذا اثبت لك، فلم آمن أن يموت الشيخ قبل أن افرغ من القرآن، فما زلت اطلب اليه حتى أذن لي في خمس آيات كل يوم»(٣).

قلت : وهذا يرجع الى الطالب، فمنهم من يلقن، أي يفهم بسرعة وعنده ملكة الحفظ، والمدرس اعلم بطلابه، وذلك باستغلال عنصر الزمن في استقرار الذاكرة، وتوثيق ترابط الافكار، فمن رام آخذ العلم جملة ذهب جملة، وان وجده ذا همة عالية كلفه بما يتناسب مع قدراته.

٩ - إعطاء الطالب فرصة ليعلم غيره. ويظهر مواهبه باشراف معلمه وملاحظته.

اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم المعلم الأول، روى البخاري باسناده عن ابي اسحاق عن البراء قال: «أول من قدم علينا (يعني المدينة) من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال، ولما فتح صلى الله عليه وسلم مكة ترك معاذ بن جبل للتعليم، وكان الرجل اذا هاجر الى المدينة دفعه النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل من الحفظة ليعلمه القرآن، وصهيب هو أول من سمي بالمقريء، حيث بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم الأوس والخزرج.

هكذا تطورت القراءة من التعلم الى التعليم، كما كان صلى الله عليه وسلم يفعل، وقراءته لمن يدعوهم الى الاسلام لها من الثبوت مالا نفتقر معه الى استدلال.

فالأخذ والتلمذة، ثم الانتقال الى التعليم، لا يخفى ذلك من تأثيره في نفس الطالب، وسرعة النشر والفائدة، فكان صلى الله عليه وسلم اذا ما علمهم القرآن فاتقنوا تلاوته، احب ان يسمعه منهم توثيقاً لما سمعوه عنه كما حدث مع عبد الله بن مسعود وغيره.

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر.

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/٦١٦ .

(٣) طبقات الحنابلة ١/٤٢ .

١٠ - اذكاء روح المنافسة لتشجيع الطلاب على الحفظ والاقبال على كتاب الله، وذلك بعمل المسابقات وتوزيع الجوائز والرحلات واذكاء روح الحماس بتقديم الجوائز التشجيعية، والرحلات العلمية والثقافية، وتنظيم المحاضرات والندوات، وتنمية مواهب الدارسين ومهاراتهم.

١١ - العلم في الصغر كالنقش في الحجر، فإن اذهان الناشئة لا تزال صافية، فيحسن ملؤها بالدين النافع، فسيكون أثره عليهم عظيماً، فهو كالصفحة البيضاء، او كالخامة اللينة تستطيع ان تشكلها كما تشاء وتكسبها ما تريد، فتعليم الصغير الدين وتحفيظه القرآن يجعله راسخ الايمان لاتتجاذبه التفاهات والمفاهيم الخاطئة، ويجب استغلال زمن الشباب، فان فيه الحيوية الكاملة والقوة الكامنة، فقد حفظ الشافعي القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وحفظ موطأ الامام مالك وهو ابن عشر سنين، وحفظ من شعر هذيل وحدها عشرة آلاف بيت في طفولته.

والاطفال يملكون القدرة على استيعاب أي لغة تعيش اسماعهم في بيئتها، فالطفل اذا تعلم في الصغر انضبطت أصول اللفظ في حنجرته، فيستفيد من ذلك ابداً، خلال حديثه وكلامه ولقائه وتلاوته، والصبي شديد التقليد لما يسمع، وحسن التعبير اذا شاء، مما يسهل عليه محاكاة الاصوات وتقليدها، وهو رأس مال رابح مضمون الربح.

١٢ - الجانب الاقتصادي وأثر الظروف المادية الصعبة، فهي من اسباب التأخر الدراسي، فانها تشغل الطالب وتخرس اللبيب وتعيي الحكيم، فلو ان لقمان الحكيم شغل بالعيال وابتلي بالفقر لما استطاع التفرقة بين التبن والبقل، وفي ذلك يقول الامام الشافعي رحمه الله:

لا يدرك الحكمة من عمره	يكدح في مصلحة الأهل
ولا ينال العلـــــم الا فتى	خال من الافكار والشغل
لو أن لقمان الحكيم الذي	سارت به الركبان بالفضل
بلي بفقر وعيــــــال لما	فرق بين التبن والبقل

١٣ - تقوى الله عز وجل: قال تعالى : «ياأيها الذين أمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا» سورة الانفال آية ٢٩، أي نوراً يملأ أعماقك، وهو العلم النافع، تفرقون به بين الحق والباطل، ومع الاسف فقد اغفل الخلف هذا الجانب، وقال تعالى: «واتقوا الله ويعلمكم الله» سورة البقرة آية ٢٨٢، فقد وعد الله من اتقاه علمه، ذهب الشافعي الى استاذه وكيع بن الجراح وهو بالعراق يشكو له سوء حفظه فقال:

شكوت الى وكيع سوء حفظي فارشدني الى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلـــــم نور ونور الله لا يهـــــدى لعاص

والمعاصي لها من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن مالا يعلمه الا الله، فمنها حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفيء ذلك النور، ولما جلس الامام الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه، أعجبه ما رأى من فطنته وتوقد ذكائه فقال: «إني أرى الله قد القى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية» وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ومن لم تعزه التقوى فلا عز له. ولا يكمل ضوء النهار الا بالشمس، كذلك لا تكتمل الحكمة الا بطاعة الله، ولكل غال مهر، ولكل جهد أجر، وكلما كان الشيء رفيع المكانة عالي القدر كان مهره غالياً، وسلعة الله غالية، وسلعة الله الجنة والنعيم المقيم.

١٤ – الاعتدال في تناول الطعام، فإن كثرة الاكل جالبة لكثرة الشرب، وكثرته جالبة للنوم والبلادة وقصور الذهن وفتور الحواس وكسل الجسم، وتثقل البدن، وتقسي القلب، وتزيل الفطنة، وتجلب النوم، وتضعف العبادة، ويقول الشافعي:

ثلاث هن مهلكة الانام وداعية الصحيح الى السقام
دوام مدامة ودوام وطء وادخال الطعام على الطعام

وفي الحديث «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم اكلات (لقيمات) يقمن صلبه، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»(١)، فهناك علاقة واضحة بين الاسراف في المأكل والمشرب وبين التأثير على قوة الذاكرة، والمذموم هو الاسراف في تناول الطعام وتخمة المعدة، فإن من طبع النفس الانكباب على الطعام والشهوات، والاخلاد للنوم والراحة والدعة، وان لا تكون جائعا: قيل لعبد الله بن مسعود: انك لتقل الصوم، قال: إني اذا صمت ضعفت عن القرآن، وتلاوة القرآن احب الي.

١٥ – ترويح النفس، قال صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده، لو كنتم تكونون في بيوتكم على الحالة التي تكونون عليها عندي، لصافحتكم الملائكة، ولا ظلتكم بأجنحتها، ولكن يا حنظلة: ساعة وساعة»(٢).

وقال الامام علي رضي الله عنه: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب اذا أكره عمي. وقال: ان القلوب تمل كما تمل الابدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ج٢/٥٦٧٧٤ .
(٢) الصحيح ٧٠٧٣ /ج٢ .

أي رحلة خلوية، او دعابة حلوة ذكية، تؤنس كآبته، وتزيل وحشته، وتجدد نفسه، وتجعله يقبل على الحفظ والقراءة اقبال المحب، فإن الانسان ميال بطبعه الى التخفف من القيود، والانطلاق بعيداً عن الحياة الرتيبة، وقديماً قيل: روحوا القلوب تعي الذكر، وللترويح ضوابط، فهو وسيلة لا غاية، واذا كان اللهو البريء والترويح المعتدل ميداناً للراحة والاستجمام، لزيادة النشاط والبذل، فليس معنى هذا ان يتخذ اللهو والترويح باباً للولوج في الفساد والهوى، والدخول في العبث والخنا، او مرتعا للمجون والسفه، ومبرراً لنشر الانحراف والارتكاس في وحل الرذائل ومستنقع الشهوات، تحت أي اسم: من السياحة والترويح وتلبيس ابليس والترفيه والتنفيس.

١٦ – **الاجتماع لدراسة القرآن** حيث ان اجتماع جماعة يتدارسون القرآن قراءة وتفسيراً واستنباطاً من فعل الصحابة حيث جاء في كتاب المغازي للواقدي «وكان من الانصار سبعون رجلاً شببة يسمون «القراء» كانوا اذا أمسوا أتوا ناحية المدينة فتدارسوا»، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، الا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(١).

١٧ – **تعليم الصبيان من قصار السور**، وذلك حسن لما فيه من تسهيل الحفظ، وليس هذا تنكيساً، فالتنكيس هو قراءة السورة من آخرها الى اولها، فهذا منعه مؤكد، ويستعمله السحرة ارضاء للشياطين وامعاناً في الكفر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قيل له: ان فلانا يقرأ القرآن منكوساً، فقال: ذلك منكوس القلب، لأنه يذهب بالاعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات.

وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة البقرة ثم النساء ثم آل عمران، كما في حديث حذيفة بن اليمان، ولا يخفى حكمة تقسيم القرآن الى اجزاء واحزاب وارباع، وذلك ان الطالب اذا ختم سورة ثم أخذ أخرى كان انشط له وأبعث على التحصيل.

١٨ – **اختيار الوقت المناسب** : وأفضله ما كان في الصلاة، وافضل الاوقات بعد الصلاة – تلاوة الليل – قال تعالى : «إن ناشئة الليل هي اشد وطئاً وأقوم قيلا» المزمل.

(١) حديث صحيح/صحيح ابي داوود ١٣٠٨ .

والمقصود ان قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة، وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من النهار، لانه وقت انتشار الناس ولفظ الاصوات واوقات المعاش. والليل ابعد عن الشواغل، وآمن من الرياء، مع ما ورد في الأثر مما يدل على فضله: «في الليل ساعة يستجاب فيها الدعاء كل ليلة، النصف الأخير أحب من نصفه الاول»، وما بين المغرب والعشاء، وافضل النهار بعد صلاة الصبح، ولا يكره شيء من الأوقات لمعنى فيه، فينبغي للقارئ ان يختار وقت النشاط.

١٩ – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره ان يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف»(١).

والأولى النظر في مصحف من نوع خاص، فالقراءة في المصحف افضل من القراءة من حفظ عن ظهر قلب، لأن النظر في المصحف عبادة، وفي النظر – اضافة الى الذاكرة – ذكر اماكن الكلمات ومواضعها من الصفحة، ولا بأس بتكرير الآية وترديدها، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قام بآية يرددها حتى اصبح: «إن تعذبهم فانهم عبادك».

٢٠ – المكان المناسب : وافضل الاماكن لحفظ القرآن: بيوت الله، والاماكن الطاهرة البعيدة عن النجاسات والشواغل والاصوات المزعجة والملهيات، من مناظر ملصقة تجذب الانتباه – او اصوات تذهب التركيز، او جهاز يشتت الافكار، كالراديو والتلفزيون. متجها نحو القبلة، معظماً لكتاب الله، سائلا الله الاعانة والتوفيق، مخلصا النية.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٦٢٨٩ .

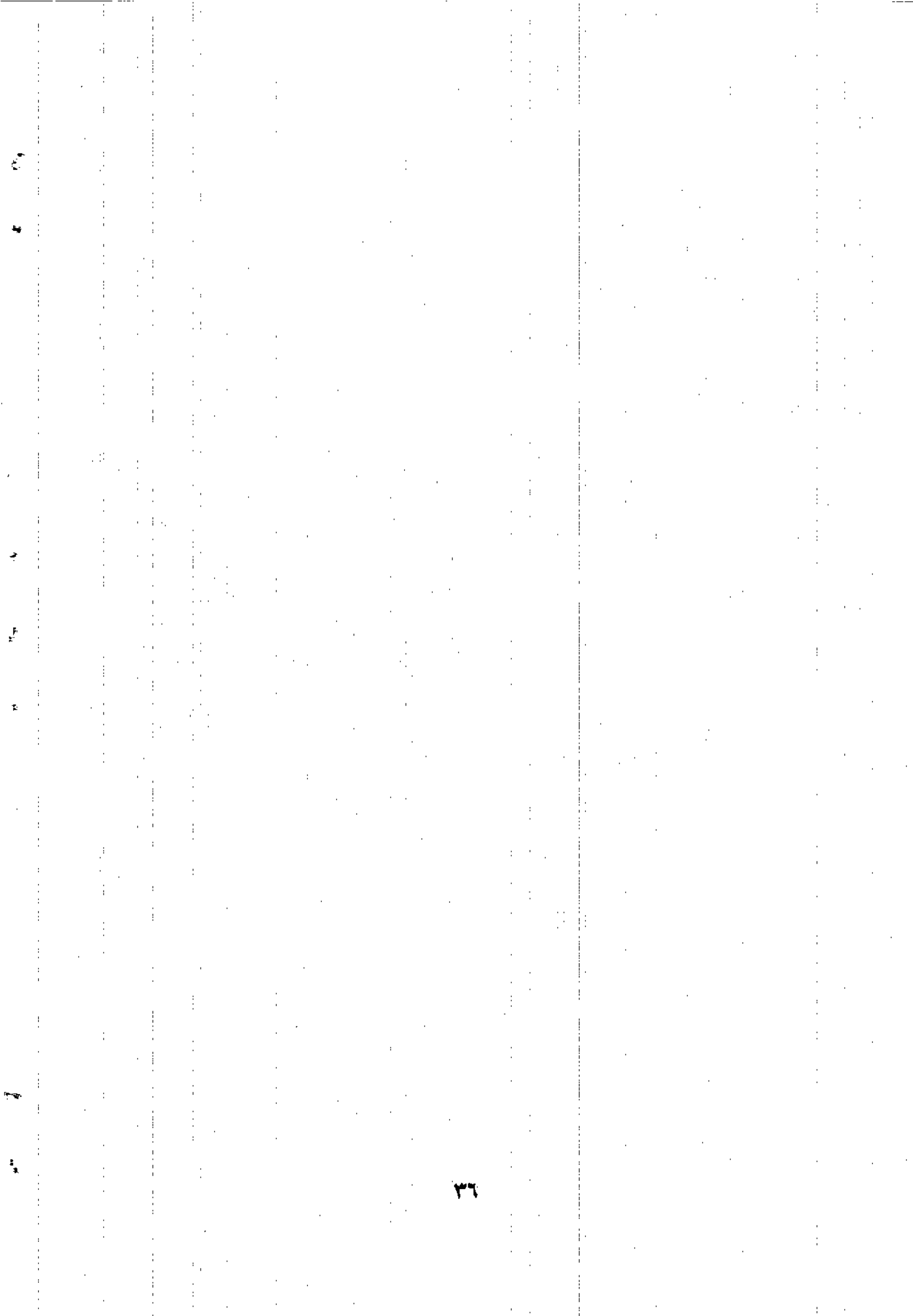
الفصل الثالث

الباب الاول : التعليم عند الصحابة

الباب الثاني : الخلفاء والامراء الأمويون والقراء.

الباب الثالث : اسلوب التعليم عند الصحابة والتابعين.

الباب الرابع : طريقة الأخـــذ.



الباب الأول
أسلوب التعليم عند الصحابة

جمع القرآن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم خمسة من الانصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء. فلما كان زمن عمر بن الخطاب، كتب اليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا (كثر عددهم) وملأوا المدائن، واحتاجوا الى من يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم: إن اخوانكم من أهل الشام، قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن، ويفقههم في الدين، فأعينوني بثلاثة منكم، إن احببتم فاستهموا (اقترعوا) وان انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لنستهم، هذا شيخ كبير - لأبي أيوب - وأما هذا فسقيم - لأبي بن كعب - فخرج معاذ وعبادة وابو الدرداء.

فقال عمر رضي الله عنه : - ابدأوا بحمص، فانكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن «يفهم ما يسمع» فإذا رأيتم ذلك فوجهوا اليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم، فليقم بها واحد، وليخرج واحد الى دمشق والآخر الى فلسطين: وقدموا حمص، فكانوا بها حتى رضوا من الناس، أقام بها عبادة، وخرج ابو الدرداء، الى دمشق، ومعاذ بن جبل الى فلسطن، واما معاذ فمات عام طاعون عمواس، واما عبادة فصار الى فلسطين فمات بها، وأما ابو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات»(١).

كان المعلمون من قراء الصحابة والتابعين، يقسمون تلاميذهم عشرات في المسجد، ويجعلون على كل عشرة عريفا، وكان العريف يقرأ القرآن لتلاميذه سورة سورة، وهم يعيدون ما سمعوا منه ويحفظون عنه، فإذا اخطأ احدهم سأل عريفه، واذا أخطأ عريفهم سأل شيخه، وكان العريف يمتحن تلاميذه بعد أن يختموا القرآن، فإذا أيقن أن احدهم قد اتقن القرآن، قدمه الى الشيخ فأجازه وأصبح عريفاً في حلقته، وقد يفارقه ويتولى تعليم القرآن بنفسه.

قال مسلم بن مشكم الدمشقي: قال لي ابو الدرداء: اعدد من يقرأ عندي القرآن، فعددتهم الفاً وستمائة ونيفا، وكان لكل عشرة منهم مقرىء، وابو الدرداء يكون عليهم قائماً، وإذا أحكم الرجل منهم تحول الى ابي الدرداء.

وكان ابو الدرداء : يبتدىء في كل غداة اذا انفتل من الصلاة، فيقرأ جزءاً من القرآن، واصحابه محدقون به ويستمعون الفاظه، فاذا فرغ من قراءته، جلس كل رجل منهم في موضعه واخذ على العشرة الذين اضيفوا اليه(٢).

(١) طبقات ابن سعد ٣٥٧ .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ١/٦٠٦ .

الباب الثاني
كيفية التعامل مع القراء عند الخلفاء والامراء الامويين

اهتم الخلفاء والأمراء الأمويون بتعليم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً، وحضوا على قراءته وحفظه حفظاً قوياً.

قال عبد الملك بن مروان لاسماعيل بن عبيد الله مؤدب ولده «علمهم كتاب الله حتى يحفظوه» وقال له «علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن»(١).

وقال هشام بن عبد الملك لسليمان بن سليم بن كيسان مؤدب ولده «أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله، تقرئه كل يوم عشراً. ليحفظ القرآن حفظ رجل يريد الكسب به(٢).

واوصوا أهل الشام بقراءة القرآن وحفظه، وكان عبد الملك بن مروان أول من أمرهم بذلك وامتحنهم فيه، وتبعه ابنه الوليد، فألح عليهم في قراءة القرآن وحفظه الحاحاً شديداً(٣).

وازداد اهتمام أهل الشام بقراءة القرآن في خلافة عمر بن عبد العزيز، بل لقد اصبحت شغلهم الشاغل، فيها يتنافسون واليها يتسابقون.

قال المدائني(٤): لما ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون، فيقول الرجل للرجل: ما وردك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم؟ ومتى ختمت؟

ولم يقتصر الخلفاء الأمويون على دعوة أهل الشام الى قراءة القرآن وحفظه، فقد كانوا يطلبون من اهل الأمصار الأخرى أن يتعلموه ويتمثلوه. وكانوا يراجعون فيه اقاربهم الذين يفدون عليهم من المدينة ومكة، فمن قرأ القرآن منهم وحفظه، قدروه وأجازوه، ومن لم يقرأه ولم يحفظه أنبوه وهجروه، وحبسوه عندهم حتى يقرأه، ووكلوا به من يعلمه.

قال المدائني(٥): أتى الوليد بن عبد الملك رجل من بني مخزوم يسأله في دينه. فقال: نعم. إن كنت مستحقاً لذلك قال: ياأمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي؟ قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا. قال: أدن مني. فدنا منه. فنزع عمامته بقضيب كان في يده، وقرعه قرعات بالقضيب. وقال لرجل: ضم هذا إليك، فلا يفارقك حتى يحفظ

(١) القراءات القرآنية في بلاد الشام ١٤ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٢٧٧/٦ .
(٣) البداية والنهاية ١٦٩/٦٣/٩ .
(٤) البداية والنهاية ٢٠٧/٦٥/٩ .
(٥) العقد الفريد ٤٢٤/٤ .

القرآن! فقام إليه عثمان بن يزيد بن خالد بن عبد الله فقال: يا أمير المؤمنين. إن علي ديناً. فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم. فاستقرأه عشر آيات من الانفال. وعشر آيات من براءة. فقرأ. فقال: نعم، نقضي عنكم ونصل ارحامكم على هذا.

وكان الوليد يتعهد علماء أهل الشام الذين خلصوا انفسهم لقراءة القرآن وتعليمه، وكان يكافئهم على ذلك. وكان عمر بن عبد العزيز ايضاً يرعى القراء، ويأمر لهم بالصلات من بيت المال.

كتب عمر بن عبد العزيز الى والي حمص: أن مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القران وما حملوا من الأحاديث(١).

وقال ابن كثير : كان عمر رحمه الله يعطي من انقطع الى المسجد الجامع من بلده وغيرها، للفقه ونشر العلم، وتلاوة القرآن، في كل عام من بيت المال مائة دينار.

واخذ الخلفاء الأمويون المتأخرون بسياسة الخلفاء المتقدمين، وتمسكوا بمواقفهم. ويظهر مما سلف أن تعليم القرآن ازدهر ببلاد الشام في العصر الأموي ازدهاراً شديداً، فقد حث الخلفاء والأمراء الأمويون عليه، واوصوا مؤدبي اولادهم أن يهتموا به. وان يقدموه على سائر العلوم. وشجعوا اهل الشام وغيرهم من اهل الأمصار على قراءة القرآن وحفظه.

وكان الخلفاء والامراء الأمويون من قراء القرآن وحفظته، على تفاوت بينهم في القراءة والحفظ وكان لبعضهم معرفة بالقراءات. وقد ورد عنهم الرواية في حروف القرآن. إذ كان معاوية بن ابي سفيان من كتّاب الوحي. وكان يقرأ القرآن في كل يوم.. قال المسعودي «كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه. ثم يدخل فيؤتى بمصحفه فيقرأ جزأه»(٢). وكان مروان بن الحكم يديم قراءة القرآن.

قال المدائني : كان مروان من رجال قريش. وكان من أقرأ الناس للقرآن. وكان يقول: ما أخللت بالقرآن قط. أي لم آت الفواحش والكبائر قط(٣).

وكان عبد الملك بن مروان من التالين للقرآن. قال نافع : لقد ادركت المدينة وما فيها شاب أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان(٤).

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ٨٤ .
(٢) مروج الذهب ٣٩/٣ .
(٣) انساب الاشراف ١٢٥ .
(٤) البداية والنهاية ٦٢/٩ وتاريخ الخلفاء ٢١٦ .

وكان عمر بن عبد العزيز قد جمع القرآن وهو صغير، كما ورد في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، وكان الخلفاء المتأخرون يحرصون على قراءة القرآن ولا ينقطعون عنها. ولا يفرطون فيها، ومع ان الوليد بن يزيد كان مترفاً متنعماً، فانه كان يقرأ القرآن، وفي شعره وخطبه ورسائله ما يدل على ذلك دلالة قوية، فهو يستشهد فيها بآيات الذكر الحكيم استشهاداً كثيرا، ويستلهم معانيها استلهاماً واسعاً. بل لقد كان القرآن الكريم رفيقه في حله وترحاله، وملجأه في الشدائد. فعندما حوصر واستيأس من النصر القى سلاحه، وأخذ مصحفاً يقرأ فيه ويقول، يوم كيوم أمير المؤمنين عثمان.

الباب الثالث
اسلوب التعليم عند الصحابة والتابعين

كان قراء الصحابة والتابعين يقسمون تلاميذهم عشرات، وفي أخبار تعليم أبي الدرداء ما يدل على ذلك، وفي اخبار تعليم عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي ما يدل على ذلك أيضاً.

قال ابن الجزري : لقد بلغنا عن هذا الامام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة(١).

ويبدو ان معلمي أبناء العامة كانوا يتبعون تنظيم أبي الدرداء واسلوبه في تعليم القرآن، اذ كانت كتاتيب بعضهم تضم آلاف التلاميذ، فكانوا يوزعونهم في فرق صغيرة، ويعينون لكل فرقة عريفاً يقرأ لها القرآن(٢).

وكان معلموا أولاد الخلفاء والأمراء والخاصة يصطنعون اسلوب ابي الدرداء في تعليم القرآن – دون تنظيمه – لانهم لم يكونوا بحاجة اليه، فقد كان كل معلم منهم يؤدب اولاد خليفة أو أمير أو شريف، وقد يؤدب ولداً واحداً من اولادهم.

وكان المعلمون على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم يقرأون القرآن وتلاميذهم يكررون وراءهم ويحفظون عنهم. وكان بعض التلاميذ يتخصصون في قراءة الشيوخ المشهورين المرموقين، ويحصلون على اجازات فيها.

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/٢٦٤ .

(٢) معجم الادباء ٤/٢٧٢ وميزان الاعتدال ٢/٣٢٤ والبداية والنهاية لابن كثير ٩/٢٢٣ .

ان المصدر الوحيد للقرآن انما هو الوحي النازل من السماء الى النبي صلى الله عليه وسلم، الذي بلّغه بكل دقة وامانة، وبكل حركة الى اصحابه الكرام، فكان يقرئهم القرآن كما انزل. كما روى ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها الى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فاذا ما علمهم القرآن فاتقنوا تلاوته احب ان يسمع منهم. توثيقاً لما سمعوه عنه.. ثم ان الصحابة رضوان الله عليهم – قد اختلف اخذهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم من اخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من اخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد، فالامر في تعدد القراءات امر أخذ ونقل من الوحي، فلا يجوز لمسلم ان يعزو أية قراءة لغير ذلك، فكانت المصاحف غير منقوطة، ومع ذلك كانت القراءات معروفة ومنتشرة، وكانوا يقرأون الآيات حسب السماع والرواية لاحسب الرسم والكتابة.

ولا نزال نرى المقرئين حتى يومنا هذا يعطون تلاميذهم – بعد ان يتموا حفظه على ايديهم – اجازة تتضمن سند التلقي المتصل عنهم الى النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك اختار عثمان بن عفان رضي الله عنه حفاظاً يثق بهم. وانفذهم الى الاقطار الاسلامية، واعتبر هذا المصحف اصولاً، مبالغة في الامر وتوثيقاً للقرآن، ولجمع كلمة المسلمين، فكان يرسل الى كل اقليم مصحفه مع من يوافق قراءته، وهذا يؤكد ان دعامة قراءة القرآن هي التلقي والرواية، فالقراءات سنة متبعة نقلت بالرواية والمشافهة من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، والكل متبع لا مبتدع، وركن القراءة الوحيد هو صحة السند، فاذا صح فهو المعتبر.

قال ابن مجاهد شيخ هذه الصنعة، وهو اول من سبع السبعة : والقراءة التي عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هي القراءة التي تلقوها عن اوليهم تلقيناً، وقام بها في كل مصر من هذه الامصار رجل ممن أخذ عن التابعين، اجمعت الخاصة والعامة على قراءته، وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه «وقال: فهؤلاء سبعة نفر من اهل الحجاز والعراق والشام خلفوا في القراءة التابعين، واجتمعت على قراءتهم العوام من اهل كل مصر من هذه الامصار»(١) فابن مجاهد يشترط صحة السند فقط.

والقراءة التي لا تتواتر سندا لا تعتبر قراءة مهما أضفت اليها من معايير وشروط.

---

(١) القراءات القرآنية وموقف المفسرين منها، د. محمد علي الحسن.

الباب الرابع
طريقة الأخــذ

الأخذ عن الشيوخ على نوعين :

احدهما : ان يسمع من لسان الشيخ، وهي طريقة المتقدمين.

وثانيهما : ان يقرأ في حضرته وهو يسمع، وهذا مسلك المتأخرين، واختلف أيهما أولى.

والاظهر ان الطريقة الثانية بالنسبة الى أهل زماننا أفضل وعليها العمل، وذلك: ان المقرئ من علم بالقراءة ورواها مشافهة مسلسلاً عن الشيخ المتقن. لأن في القراءة شيئاً لا يحكم بالسماع من لفظ الشيخ، وليس كل من سمع من الشيخ يقدر على الأداء، والمقصود هو كيفية الأداء، فلابد من قراءة الطالب على الشيخ، ليصلح أداءه ويتبين خطأه ويوقفه على الأداء الصحيح، ويحسن الفاظه.

وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم، لأن القرآن نزل بلغتهم، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، واللسان الفصيح، وقد اثنى الله تبارك وتعالى عليه، وسبق لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الفضل ماليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنأهم بما أثابهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين «سائلين المولى ان يحشرنا معهم» أدوا الينا سنن رسوله صلى الله عليه وسلم، وشاهدوه والوحي ينزل عليه. تعلموا ما أراد، وعرفوا من سننه ما عرفوا، وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، ولسان وفصاحة، واداء وقراءة، ودخل علينا ما دخل من تحريف اللسان العربي، والخلل في مخارج الحروف ونطق الكلمات، والتباعد والتباين حتى بين الأخ وأخيه، فضلا عن القرى والمدن. والبلاد واختلاط اللغات، وتداخل العلوم والمعلومات، وكساد سوق الفصاحة، ونفاق سوق الجهل، وفتور العزم، وقصور الهمم، فاصبحت الالسن معقودة، والحروف معجمة.

فكان لزاماً ان يقرأ الطالب على الشيخ فيصحح الفاظه، ويفك عقد لسانه، ويدرب فكه، كما قال ابن الجزري:

وليس بينه وبين تركه   الا رياضة امرئ بفكه

لأن ذلك تذليلٌ للسان، واطلاقٌ من الحبسة، وحل للعقدة، وما اقل من سلم من هذه في زماننا الحاضر.

التعليـــم

التعليم : هو عملية اكتساب المعلومات والمعارف والخبرات والمهارات عن طريق معلم بطرق ووسائل مختلفة، او يقوم بها المتعلم بنفسه - إنما العلم بالتعلم.

والتعليم فرض عين وهو مستمر من المهد الى اللحد وهو تلقين المعرفة وتدريب وتثقيف وممارسة، يجعل من الفرد شخصاً مستنيراً حياً.

أنتشرت دور القرآن في الكوفة والبصرة ومكة والشام والمدينة وسميت الكتاتيب يتعلم فيها ابناء المسلمين، ولما اشتغل بنو أمية بأمر المسلمين، ازدادت عنايتهم بالثقافة زيادة واضحة، لتوسع رقعة الدولة وحاجتها الى المتعلمين، وانتظمت الكتاتيب في العصر العباسي بصورة فائقة، وظهرت الحركة العلمية الادبية والفقهية والتخصصية في القراءات، وظهرت طبقات القراء، وأنشئت كتاتيب اولية لتحفيظ القرآن والقراءة والكتابة - كتاتيب ثقافية في علوم اللغة والفقه والادب والعلوم الشرعية.

واصبح للكتاتيب مناهج وبرامج، بحيث يقرأ الطفل القرآن بجملة. ثم يعمدون الى تحفيظه الاعراب والتفسير، ثم مبادىء العلوم والآداب المواد المساعدة على فهم كتاب الله.

فالقرآن هو الاصل ومنه العلوم تؤخذ، وهو اصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من ملكات.

وظهرت كتاتيب اخرى مذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن فقط، ولايخلطون فيه بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه او غيره.

والجمع بين حفظ القرآن وتلاوته وتجويده مع دراسة اللغة والقراءة والكتاب وقواعد اللغة توسع مدارك الطفل وتؤهله للحياة.

ويعتبر نظام الملك السلجوقي في تركستان اول عمل رسمي قامت به الدولة الاسلامية لتنظيم الدراسة وترتيبها، بتهيئة الاسباب وايجاد المواد الضرورية اللازمة للدراسة، وتحديد ميزانية مالية لها واعداد الرواتب والنفقات وتثبيت النظم والتقاليد التي كانت غير مستقرة فعلاً قبلها.

فقد كانت همم الرجال تتفاوت من حين الى حين، وعندما فترت الهمم، وكثرت البدع، والملل والنحل، لهذا كان عمل نظام الملك عملاً جليلاً، صان به الحركات العلمية

والثقافة من التدهور، مع ان نظام التعليم الحر في المساجد والكتاتيب كانوا من اصحاب الهمم العالية، والانفس الزكية وبوحي من ضمائرهم، وبصورة اختيارية لا لطمع مادي، او مأرب وظيفي، إلا ان نظام الملك اضطر الى ذلك النظام خشية انهيار التعليم، وحفاظاً على العلم وأصله.

هذا النظام الاسلامي التي كانت تقوم مناهجها اساساً على العلوم الشرعية، وبعض العلوم الثقافية الاخرى كانت بداية المدارس، امتد اثرها الى زماننا والى مدارسنا ومعاهدنا في عالمنا المعاصر، بحيث يكون القرآن والعقيدة اساس الدراسة وعلوم وألوان المعارف الاخرى مساعدة، فانتشرت المدارس والمعاهد والجامعات.

الفصل الرابع

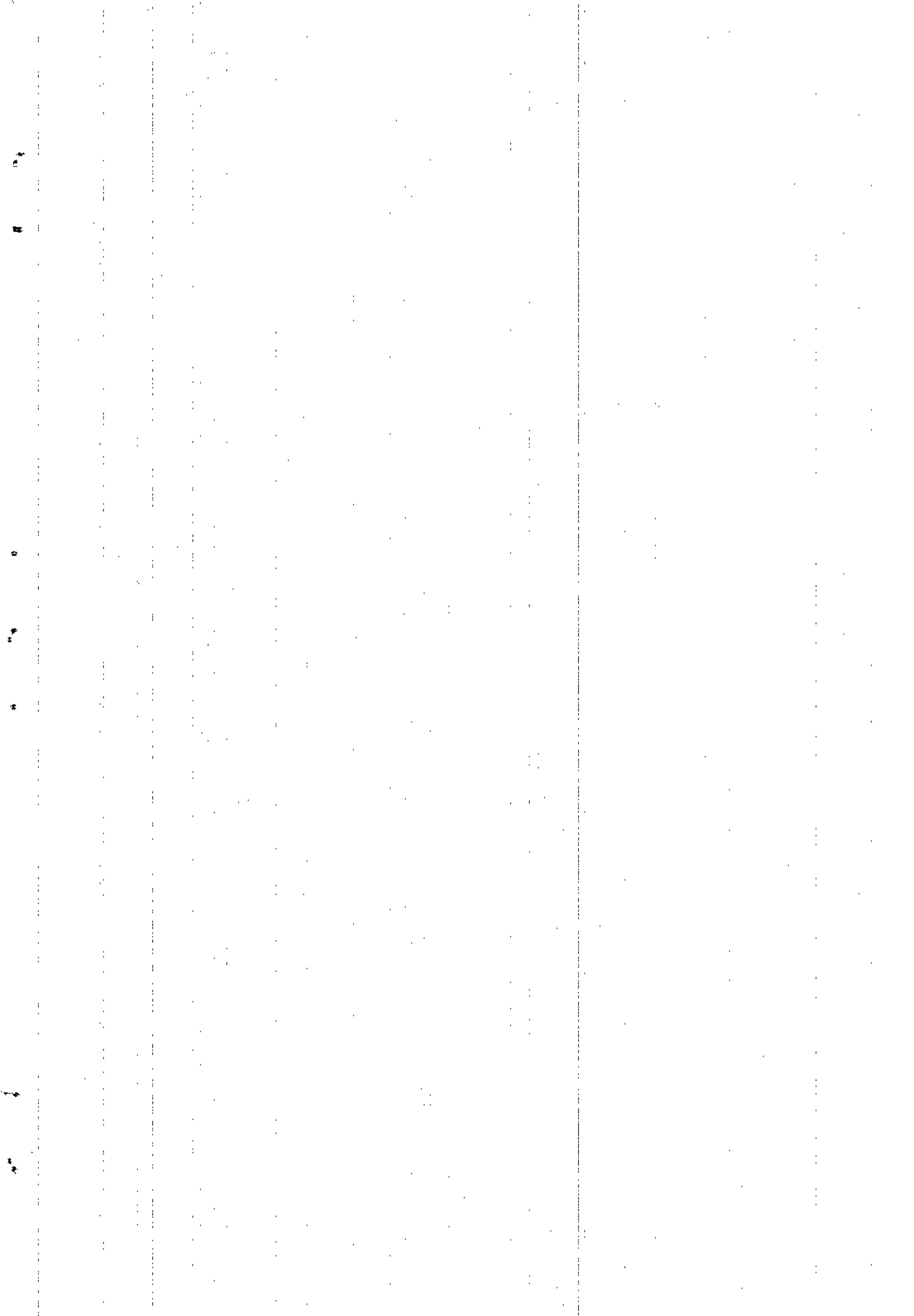
الباب الأول : كيف يقرأ القرآن الكريم.

الباب الثاني : الوارد في قراءة التحقيق.

: (قراءة التحقيق للتعليم - التعليم العملي للتحقيق)

الباب الثالث : ميزان الحروف.

الباب الرابع : الترتيل، التدوير، الحدر - صفة قراءة القراء.



الباب الأول
كيف يقرأ القرآن الكريم

كلام الله تعالى يقرأ بالتحقيق والترتيل والتدوير والحدر.

فالتحقيق : مصدر حققت الشيء تحقيقاً اذا بلغت يقينه، ومعناه المبالغة في الاتيان بالشيء على حقه، وهو عندهم عبارة عن إعطاء كل حرف حقه من اشباع المد. وتحقيق الهمزة. واتمام الحركات. واعتماد الاظهار والتشديدات وتوفية الغنات. وتفكيك الحروف. وبيانه، واخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل واليسر والتؤدة.

فالتحقيق يكون لرياضة الألسن. وتقويم الألفاظ. وإقامة القراءة بغاية الترتيل، وهو الذي يستحسن ويستحب الأخذ به على المتعلمين، من غير أن يتجاوز فيه الى حد الإفراط من تحريك السواكن، وتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات(١).

فالتحقيق لرياضة الألسن والتعليم، بقصد تصحيح مخارج الحروف وتقويم الالفاظ. اورد ابن الجزري في النشر صفحة ١/٢٠٦ مايلي:

قرأت القرآن كله على الامام ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المصري التحقيق، وقرأ هو على محمد بن احمد المعدل التحقيق، وقرأ على ابن شجاع التحقيق، وقرأ على الشاطبي التحقيق. وقرأ على ابن هذيل التحقيق، وقرأ على أبي داود التحقيق، وقرأ على أبي عمرو الداني التحقيق، وقرأ على فارس بن احمد التحقيق، وقرأ على عمرو بن عراك التحقيق، وقرأ على حمدان بن عون التحقيق، وقرأ على اسماعيل النحاس التحقيق، وقرأ على الازرق التحقيق، وقرأ على ورش التحقيق، وأخبره انه قرأ على نافع التحقيق. قال: واخبرني نافع انه قرأ على الخمسة التحقيق، واخبره الخمسة أنهم قرأوا على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة التحقيق. وأخبرهم عبد الله انه قرأ على أبي بن كعب التحقيق. قال: واخبرني أبي انه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم التحقيق، قال: وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم علي التحقيق.

قال الحافظ ابو عمرو الداني. هذا الحديث غريب لا أعلمه يحفظ الا من هذا الوجه، وهو مستقيم الاسناد. وقال في كتاب التجريد بعد اسناده هذا الحديث: هذا الخبر الوارد بتوقيف قراءة التحقيق من الاخبار الغريبة، والسنن العزيزة، لا توجد روايته الا عند المكثرين الباحثين، ولا يكتب الا عن الحفاظ الماهرين. وهو أصل كبير في وجوب استعمال قراءة التحقيق، وتعلم الاتقان والتجويد، لاتصال سنده، وعدالة نقلته. ولا اعلمه يأتي متصلا الا من هذا الوجه.

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/٢٠٥ .

الباب الثاني
الوارد في قراءة التحقيق

حدثنا البخاري - حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة قال : سئل أنس رضي الله عنه: كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كانت مداً. ثم قرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» يمد «بسم الله» ويمد «الرحمن» ويمد «الرحيم».

قال ابو عمرو رحمه الله: هذا الحديث مخرج من الصحيح، وهو أصل في تحقيق القراءة، وتجويد الالفاظ، واخراج الحروف من مواضعها، والنطق بها على مراتبها، وايفائها صيغتها، وكل حق هو لها. من تلخيص وتبيين ومد، وتمكين واطباق، وتفش وصفير، وغنة وتكرير، واستطالة وغير ذلك، وعلى مقدار الصيغة وطبع الخلقة، من غير زيادة ولا نقصان(١).

وعن عاصم بن بهدلة قال: قلت للطفيل بن أبي بن كعب رضي الله عنهم، الى أي معنى ذهب أبوك في قول رسول الله صلى عليه وسلم: «أمرت ان اقرأ عليك القرآن». قال: ليقرأ علي فآخذ الفاظه.

روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي: «ان الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن.. فقرأ: لم يكن الذين كفروا..».

قال ابو عمرو : وهذا الحديث أيضاً أصل كبير في وجوب معرفة تجويد الالفاظ، وكيفية النطق بالحروف على هيئتها وصيغتها. وأن ذلك لازم لكل قراء القرآن، ان يطلبوه ويتعلموه، وواجب على جميع المتصدرين أن يأخذوه ويعلموه، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في ما أمر به، واتباعاً له على ما اكده بفعله، ليكون سنة يتبعها القراء ويقتدي بها العلماء(٢).

اورد ابو عمرو الداني في كتاب «التحديد في الاتقان والتجويد»: حدثنا ابو الفتح شيخنا - حدثنا عمر بن محمد - حدثنا الحسن بن أبي الحسن العسكري - حدثنا محمد بن الحسن بن عمير - حدثنا عبد الرحمن بن داود بن أبي طيبة قال: قرأت على أبي التحقيق. واخبرني انه قرأ على ورش التحقيق. قال: واخبرني ورش انه قرأ على نافع التحقيق. قال نافع، انه قرأ على الخمسة التحقيق. قال: واخبرني الخمسة أنهم

(١) التحديد في الاتقان والتجويد (٨٠).
(٢) التحديد في الاتقان والتجويد.

قرأوا على أبي بن كعب - رضي الله عنه - التحقيق. واخبره أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم التحقيق. قال: وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم علي التحقيق. قال ابو عمرو. هذا الخبر الوارد بتوقيف قراءة التحقيق من الاخبار الغريبة والسنن العزيزة، التي لا توجد روايته الا عند المكثرين الباحثين، ولا يكتب الا عن الحفاظ الماهرين. وهو اصل كبير في وجوب استعمال قراءة التحقيق. وتعلم الاتقان والتجويد لاتصال سنده. وعدالة نقلته. ولا أعلمه يأتي متصلاً الا من هذا الوجه.

قراءة التحقيق للتعليم

مما تقدم يتبين لنا ان المعنى الذي ذكره حمزة رحمه الله قد جاء عنه منصوصاً قال: إنا جعلنا هذا التحقيق ليستمر عليه المتعلم.

قال ابو عمرو : ولهذا المعنى الذي ذكره حمزة رحمه الله، يرخص في المبالغة في التحقيق من يرخص من الشيوخ المتقدمين والقراء السالفين، لترتاض به ألسنة المبتدئين، وتتحكم فيه طباع المتعلمين، ثم يعرفوا بعد حقيقته، ويوقفوا على المراد من كيفيته(١).

وقال مجاهد : كان حمزة يأخذ بذلك على المتعلم، ومراده أن يصل الى ما نحن عليه من اعطاء الحروف حقوقها(٢).

وهذا النوع من القراءة، وهو التحقيق، هو مذهب حمزة وورش.

قال ابن الجزري : وهذا النوع من القراءة، وهو التحقيق، هو مذهب حمزة وورش من غير طريق الاصبهاني عنه، وقتيبة عن الكسائي والأعشي عن ابي بكر، وبعض طرق الاشناني عن حفص، وبعض المصريين عن الحلواني عن هشام، واكثر العراقيين عن الأخفش عن ابن ذكوان كما هو مقرر في كتب الخلاف(٣).

قال ابن تيمية : كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة رسلة، وهكذا نختار لقراء القرآن في اورادهم ومحاريبهم. فأما الغلام الريض والمستأنف للتعلم، فنختار له أن يؤخذ بالتحقيق عليه من غير افحاش في مد أو همز أو ادغام، لأن في ذلك تذليلاً للسان، واطلاقاً من الحبسة وحلاً للعقدة، وما أقل من سلم من هذه الطبقة في حرفه من الغلط والوهم.

(١) التحديد في الاتقان والتجويد لابي عمرو ٩١ .
(٢) التحديد ٩٢ .
(٣) النشر في القراءات العشر ١/٢٠٦ .

التعليم العملي للتحقيق

التطبيق العملي للتلاوة ضمن الخطوات التالية :

١ – تدريب الطلبة على النطق بالحروف مخرجاً وصفة حسب ميزان الحروف.

٢ – مراعاة النطق بالحروف اثناء التلاوة.

٣ – يقرأ المعلم قراءة تعليمية (بالتحقيق).

٤ – يعيد الطلبة القراءة بعد المعلم (بالتحقيق).

٥ – يطلب المعلم من كل طالب إعادة الآيات وتصحيح التلاوة حرفاً حرفاً وكلمة كلمة.

شرح التعليم العملي للتحقيق

يقول ابن الجزري في النشر : أول ما يجب على مريد اتقان قراءة القرآن، تصحيح اخراج كل حرف من مخرجه المختص به تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كل حرف صفته المعروفة به توفية تخرجه عن مجانسه، يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعاً وسليقة. فكل حرف شارك غيره في مخرج فانه لا يمتاز عن مشاركه الا بالصفات، وكل حرف شارك غيره في صفاته فانه لا يمتاز عنه الا بالمخرج(١).

بمعنى الابتداء بتفكيك الحروف – أي قراءة القرآن حرفاً حرفاً، مركزاً بذلك على مخارج الحروف والصفات. ثم يقول ابن الجزري: فإذا أحكم القارىء النطق بكل حرف على حدته، موفياً حقه، فليعمل نفسه باحكامه حالة التركيب، لأنه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الافراد، وذلك ظاهر. فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة، بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب، وقوي وضعيف، ومفخم ومرقق، فيجذب القوي الضعيف، ويغلب المفخم المرقق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه الا بالرياضة الشديدة حالة التركيب، فمن احكم صحة التركيب حصل حقيقة التجويد بالاتقان والتدريب(٢)، بمعنى توصيل الحروف بعضها ببعض.

ثم يقول : وأصل الخلل الوارد على ألسنة القراء في هذه البلاد وما التحق بها هو اطلاق التفخيمات والتغليظات، على طريق الفتها الطباعات، تلقيت من العجم واعتادتها النبط، واكتسبها بعض العرب، حيث لم يقفوا على الصواب ممن يرجع الى علمه، ويوثق بفضله وفهمه، واذا انتهى الحال الى هذا، فلابد من قانون صحيح يرجع اليه، وميزان مستقيم يعول عليه(٣) وقال السخاوي :

للحرف ميزان فلاتك طاغيا   فيه ولاتك مخسر الميزان

---

(١) النشر ١/٢١٤ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١/٢١٥/٢١٤ .

(٣) النشر في القراءات العشر ١/٢١٥ .

وافضل طريق لتصحيح ميزان الحروف، ان يقرأها الشيخ على تلامذته ثم يعيدوها من بعده. يحكى عن الشيخ ابن الجزري لما قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق، لم يتسع وقته لقراءة الجميع، فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة(١)، وتجويد الحروف والمشافهة تكشف حقيقة ذلك، والرياضة توصل اليه.

الباب الثالث

ميزان الحروف

قال السخاوي :

للحروف ميزان فلاتك طاغيا فيه ولاتك مخسر الميزان

والميزان يعني مثلاً : المد في نظيره كمثله - وكذلك الغنة في نظيرتها كمثلها، والميزان هو مخرجه وصفته ومقداره على الوجه العدل، من غير افراط ولا تفريط، فقد وزن بميزان دقيق.

الميزان الأول : ميزان الغنات ومقداره حركتان :

١ - النون والميم المشددتان وصلاً ووقفاً نحو (قل أعوذ برب النّاس، ملك النّاس).

٢ - الادغام بغنة نحو (وجوهٌ يومئذ ناضرة) القيامة ٢٢ .

٣ - الادغام الشفوي نحو (ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) الحج ٥ .

٤ - الاخفاء الحقيقي نحو (يأيها الناس إن كنتم في ريب) الحج ٥ .

٥ - الاخفاء الشفوي نحو (قال يا آدم انبئهم بأسمائهم، فلما انبأهم باسمائهم قال) البقرة ٣٣ .

٦ - الاقلاب نحو (قال يا ءادم انبئهم بأسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال) البقرة ٣٣ .

فميزان هذه الحروف مقدار حركتين في جميع الكلمات في القراءة الواحدة بنفس الميزان، فلا يزيدها في مكان وينقصها في مكان آخر، فالغنة في نظيرتها كمثلها في القراءة الواحدة، كانما وزنت بميزان دقيق على وجه العدل، يقول ابن الجزري.. واللفظ في نظيره كمثله.

الميزان الثاني : ميزان المد الطبيعي ومقداره حركتان

١ - المد الطبيعي نحو (بسم الله الرحمن الرحيم).

(١) الاتقان في علوم القران ٩٩ .

٢ – مد البدل عند من قصر البدل، نحو (ءامن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله) البقرة ٢٨٥ .

٣ – مد العوض، نحو (والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحاً).

٤ – مد التمكين. نحو (النبيّين – حييّتم).

٥ – الصلة الصغرى، نحو (قال لهُ صاحبهُ وهو يحاوره) الكهف ٣٧ .

٦ – الصلة الكبرى حال قصر المنفصل، نحو (وهو يحاوره إكفرت) الكهف ٧ .

٧ – المد المنفصل حال القصر، نحو (قل لآ أجد في مآ أوحي الي محرماً على طاعم يطعمه إلا) الانعام ١٤٥ .

٨ – العارض للسكون حال القصر، نحو (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم).

فميزان هذه الحروف ايضاً مقدار حركتين في جميع الكلمات في القراءة الواحدة، بنفس الميزان، والمد في نظيره كمثله، يقوم الشيخ بتصحيح ميزان الحروف إما بالقراءة الجماعية، أو بأن يقرأ الشيخ ويردد الطلاب من بعده، او بالقراءة مع شريط مسجل، او بالطريقة التي يراها مناسبة، ويمكن جمع الميزان الأول مع الميزان الثاني بنفس الميزان، مع التدريب المستمر، لتصبح القراءة متناسقة، وميزان الحروف متساوية في القراءة الواحدة.

الميزان الثالث : ميزان المدود حال التوسط اربع حركات :

١ – مد المتصل حال التوسط، نحو (وهو الذي أنزل من السمآء مآءً فاخرجنا به نبات كل شيء) الانعام ٩٩ .

٢ – مد المنفصل حال التوسط، نحو (قل لآ أجد في مآ أوحي الي محرماً على طاعم يطعمه إلا) الانعام ١٤٥ .

٣ – مد الصلة الكبرى حال توسط المنفصل، نحو (.. على طاعم يطعمهُ الا أن يكون ميتة أو..) الانعام ١٤٥ .

٤ – المد العارض للسكون حال التوسط، نحو (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم).

الميزان الرابع : ميزان المد المشبع ست حركات :

١ – المد اللازم الكلمي المثقل، نحو (الحآقة ما الحآقة).

٢ – المد اللازم الكلمي المخفف، نحو (ءآلئٰن) حال الابدال.

٣ – المد اللازم الحرفي المثقل، نحو (اللام من آلم) والسين من (طسم).

٤ – المد اللازم الحرفي المخفف، نحو الميم والصاد من (آلمص).

٥ – مد الفرق حال الابدال، نحو (آلذكرين – ءآلله – ءآلئن).

٦ – المد المتصل حال الاشباع، نحو (هو الذي أنزل من السمآء مآء) الانعام ٩٩ .

وهكذا يتم وضع الميزان للطالب اثناء التلاوة، وتذكيره بمقدار المد حال اخلاله بالميزان، ويجب على الشيخ ان يكون دقيقاً في تحديد الميزان، وتناسق القراءة، واليه اشار الخاقاني رحمه الله:

زن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه   فوزن حروف الذكر من افضل البر

الميزان الخامس : ميزان التفخيم والترقيق والنطق بها على مراتبها وايفائها صيغتها:

حروف الاستعلاء	المرتبة الاولى	المرتبة الثانية	المرتبة الثالثة	المرتبة الرابعة	المرتبة الخامسة
الطاء	طائفة	طَلبا	يطُوف	اطْعام	طِباقا
الضاد	ضاق	ضَربتم	فضُرب	رضْوان	ضِعافا
الصاد	صالحين	صَلح	صُمّ	فاصْبر	صِياما
الظاء	ظاهرين	ظَلم	ظُلم	عظْهم	ظِلال
القاف	قال	قَعد	قُتل	يقْتلو	قِتال
الغين	غالب	غَفر	غُلبت	يغْلب	غِطاءك
الخاء	خاف	وخَرقوا	خُذها	يخْلق	خِتامه مسك
	المفتوح وبعده الف	المفتوح وليس بعده الف	المضموم	الساكن	المكسور

وهكذا بقية الموازين، كالحروف القوية والحروف الضعيفة، والصفات والمخارج، فإذا اتقن الطالب التحقيق انتقل به المعلم فعرفه حقيقة الترتيل، بتخفيف الحروف، ويصل به الى القراءة بالترتيل والاداء الصحيح.

حدثنا هشام بن بكير – وكان هو وأبوه من القراء – قال : كنت عند عاصم ورجل يقرأ عليه قال: فما انكرت من قراءته شيئاً، فلما فرغ قال له عاصم: والله ما قرأت

حرفاً. قال ابو عمرو: يريد أنك لم تقم القراءة على حدها، ولم توف الحروف حقها، ولا احتذيت منهاج الأئمة من القراء، ولا سلكت طريق أهل العلم بالأداء[1].

الميزان السادس : ضم الشفتين عند النطق بالحرف المضموم، ولا يتم الحرف الا بتمام حركته، فان لم تتم الحركة لا يتم الحرف.

وكذلك الحرف المكسور لا يتم الا بخفض الفم، والا كان ناقصاً، وكذلك الحرف المفتوح لا يتم إلا بفتح الفم، والى ذلك اشار العلامة الطيبي في منظومته فقال:

وكل مضمـــــوم فلن يتما	إلا بضــــم الشفتـــين ضماً
وذو انخفاض بانخفاض للفم	يتم والمفتـوح بالفتـــح افهـــم

فالحروف تنقص بنقص الحركات، فيكون حينئذ اقبح من اللحن الجلي، لأن النقص من الذوات اقبح من ترك الصفات.

وقال ايضاً :

فإن تر القارئ لن تنطبــــقا	شفاهـــــه بالضــم كن محققا
فإنـــه منتقص ما ضمــــا	والواجب النطـــق بــــه متما
كذاك ذو فتح وذو كسر يجب	اتمام كل منهما فافهـــم تصب
فالنقص في هذا لدى التأمـــل	أقبح في المعنى من اللحن الجلي
اذ هو تغيير لـــذات الحرف	واللحن تغييــــر له في الوصف

هذا ولم أزل أجد الطلبة تزل بهم ألسنتهم الى ما نبهت اليه، وتميل بهم طباعهم الى الخطأ فيما حذرت منه، فبكثرة تتبعي لالفاظ الطلبة وقفت على ما حذرت منه ووصيت به من هذه الالفاظ كلها.

والمقرئ الى جميع ما ذكرناه أحوج من القارئ، لأنه اذا علمه علَّمه، واذا لم يعْلمه لم يُعلِّمه، وفاقد الشيء لا يعطيه، فيستوى في الجهل بالصواب في ذلك القارئ والمقرئ، فلا يرضين امرؤ لنفسه في كتاب الله جل ذكره إلا بأعلى الامور واسلمها من الخطأ والزلل، فالكلام الشريف يحتاج الى اللفظ الشريف، والاداء الشريف.

(١) التحديد في الاتقان والتجويد ٨٥ .

الباب الرابع

التعليم العملي للترتيل

١ - تدريب الطلبة على ميزان الحروف والقراءة بتؤدة وطمأنينة.

٢ - مراعاة الاحكام والنطق اثناء التلاوة.

٣ - يقرأ المعلم الآية بالترتيل ليبين للطلاب كيفية الأداء.

٤ - يطلب المعلم من كل طالب اعادة الآيات وتصحيح التلاوة.

٥ - يبين المعلم للطلاب الأداء المناسب للآيات.

شرح التعليم العملي للترتيل

فهو مصدر من رتل فلان كلامه اذا اتبع بعضه بعضاً، على مكث وتفهم من غير عجلة، وهو الذي أُنزل به القرآن قال تعالى: «ورتلناه ترتيلا»..

قال صلى الله عليه وسلم : «إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أُنزل»(١)، وأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: «ورتل القرآن ترتيلا»، ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى اكده بالمصدر اهتماماً به وتعظيماً له، ليكون ذلك عوناً على تدبر القرآن وتفهمه، وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يقرأ، فالتجويد والترتيل هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، قال صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد» يعني عبد الله بن مسعود، وكان رضي الله عنه قد اعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله، كما أنزله الله تعالى، وناهيك برجل أحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يسمع القرآن منه، ولما قرأ أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت في الصحيحين عن أبي عثمان النهدي قال: صلى بنا ابن مسعود المغرب «بقل هو الله أحد» ووالله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله(٢).

يقول ابن الجزري : وهذه سنة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجوداً مصححاً

(١) اخرجه ابن خزيمة في صحيحه.

(٢) النشر في القراءات العشر ١/٢١٢ .

كما أنزل، تلتذ الاسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد ان يسلب العقول، ويأخذ بالألباب، سر من اسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه، ولقد ادركنا من شيوخنا من لم يكن لهم حسن صوت ولا معرفة بالألحان، إلا أنه كان جيد الأداء قيماً باللفظ، فكلما قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع اليه، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي ومن لا يعرفه من سائر الأنام، مع تركهم جماعات من ذوي الاصوات الحسان، عارفين بالمقامات والالحان، لخروجهم عن التجويد والاتقان، واخبرني جماعة من شيوخي وغيرهم أخبار بلغت التواتر، عن شيخهم الامام تقي الدين محمد بن احمد الصائغ المصري رحمه الله وكان استاذا في التجويد، أنه قرأ يوماً في صلاة الصبح «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد؟» وكرر هذه الآية فنزل طائر على رأس الشيخ يسمع قراءته حتى اكملها، فنظروا اليه فاذا هو هدهد.

وبلغنا عن الاستاذ الامام ابي محمد عبد الله بن علي البغدادي، المعروف بسبط الخياط، مؤلف المبهج وغيره في القراءات رحمه الله، انه كان قد اعطي من ذلك حظاً عظيماً، وانه اسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته(١).

قال ابن الجزري رحمه الله تعالى : واحسن بعض أئمتنا رحمه الله تعالى فقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدوير أجل وارفع قدراً، وان كان ثواب كثرة القراءة اكثر عدداً.

فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة، او اعتق عبداً قيمته نفيسة، والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدنانير، او اعتق عدداً من العبيد قيمتهم رخيصة.

وقال ابو حامد الغزالي رحمه الله تعالى : اعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له ايضاً القراءة بالترتيل والتؤدة، لأن ذلك اقرب الى التوقير والاحترام، وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال، لما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال: «شر السير الحقحقة» أي السفر في أول الليل، «وشر القراءة الهذرمة» أي السرعة فيها.

كان علقمة بن قيس أشبه الناس بابن مسعود سمتاً وهدياً وعلماً، وكان أعرج من

---

(١) النشر ١/٢١٣/٢١٢ .

احسن الناس صوتاً بالقرآن، قال ابراهيم النخعي: قرأ علقمة على عبد الله، وكأنه عجل، فقال عبد الله: فداك أبي وأمي، رتل، فانه زين القرآن. قال ابراهيم عن علقمة قال: كنت رجلا قد اعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، وكان ابن مسعود يستقرئني ويقول لي: اقرأ فداك أبي وأمي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «حسن الأصوات يزين القرآن» وكان اذا سمعه ابن مسعود يقول: «لو رءاك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسُرَّ بك»(١).

فالترتيل يجمع المقرىء بين النطق الصحيح الذي يقرره علم التجويد، وبين الاداء النغمي، مع الاحتفاظ بهيبة القرآن، بما تتقبله النفوس، رغم ان هناك من يتصرف تصرف المغنين، وعلى هذا علامات استفهام كثيرة.

التـــــدوير

التدوير : هو عبارة عن التوسط بين الترتيل والحدر. وهو الذي ورد عن اكثر الأئمة، وهو المختار عند اكثر اهل الأداء.

قال ابن مسعود : لا تنثروه – يعني القرآن – نثر الدقل، ولا تهذوه هذ الشعر، عن محمد بن سلمة العثماني، قال: قال أبي : قلت لورش: كيف كان يقرأ نافع؟ قال: كان يقرأ لا مشدداً ولا مرسلاً، بيناً حسناً.

وقال ابن هلال : والذي أقرأه وأقريء به، الوسط من اللفظ، ما يصلح للمحاريب، وهو مذهب ابي يعقوب عن ورش عن نافع.

وقراءة الكسائي بين الوصفين في اعتدال.

قال ابن تيمية : كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة رسلة، وهكذا نختار لقراء القرآن في اورادهم ومحاريبهم، فأما الغلام الريض والمستأنف للتعلم، فنختار له أن يؤخذ بالتحقيق.

سئل مالك رضي الله عنه عن الحدر في القرآن فقال : من الناس من اذا حدر كان أخف عليه، واذا رتل أخطأ، والناس في ذلك على ما يخف، وذلك واسع.

(١) طبقات القراء ١/٥١٦ .

وقال القاضي ابو الوليد الطرطوشي : معنى هذا انه يستحب لكل انسان ما يوافق طبعه ويخف عليه، فربما يكلف غير ذلك مما يخالف طبعه فيشق عليه، ويقطعه ذلك عن القراءة او الاكثار منها، أما إن تساوى عنده الأمران فالترتيل أولى. والتدوير هو القراءة على طبقة صوتية هادئة، يجمع بين الاحكام والنغمة، وغالب قراءة الناس في بيوتهم ومحاريبهم بها.

التطبيق العملي للتدوير

١ – تدريب الطلبة على النطق بالحروف وميزان القراءة.

٢ – مراعاة النطق بالحروف اثناء التلاوة.

٣ – يقرأ المعلم الآية بالتدوير ليبين لهم ميزان الحروف وكيفية الأداء.

٤ – يطلب المعلم من كل طالب اعادة الآيات، وتصحيح التلاوة، حرفاً حرفاً وكلمة كلمة، وتصحيح الميزان والأداء.

الحــــدر

الحدر : مصدر من حدر، اذا اسرع، فهو من الحدور، الذي هو الهبوط، لان الاسراع من لازمه، بخلاف الصعود وهو عبارة عن ادراج القراءة وسرعتها مع مراعاة الاحكام، ووردت به القراءة مع إيثار الوصل وإقامة الإعراب ومراعاة تقويم اللفظ.

فالحدر يكون لتكثير الحسنات في القراءة، وحوز فضيلة التلاوة ومراجعة الحفظ وعلى القارىء به ان يحترز عن بتر حروف المد، وذهاب صوت الغنة، واختلاس اكثر الحركات، وعن التفريط الى غاية لاتصح بها القراءة، ولا توصف بها التلاوة، ففي الصحيح أن رجلاً جاء الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة، فقال: هذًا كهذِّ الشعر، الحديث.

جاء رجل الى نافع فقال: تأخذ عليَّ الحدر، فقال نافع، ما الحدر؟ ما أعرفها، أسمعْنَا، قال: فقرأ الرجل، فقال نافع: الحدر، أو قال: حدرنا: أن لا نسقط الإعراب، ولا ننفي الحروف، ولا نخفف مشدداً، ولا نشدد مخففاً، ولا نقصر ممدوداً، ولا نمد مقصوراً، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، سهل جزل، لا نمضغ ولا نلوك، ننبر ولا نبتهر، ونسهل ولا نشدد، نقرأ على أفصح اللغات وأمضاها، ولا نلتفت الى أقاويل الشعراء وأصحاب اللغات، أصاغر عن أكابر، ملي عن وفي، ديننا دين العجائز، وقراءتنا قراءة المشايخ، نسمع في القرآن، ولا نستعمل فيه بالرأي، ثم تلا : قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن إلى آخر الاية.

قال ابو عمرو : وهذا كلام من أيد ووفق ونصر وفهم وجعل إماماً عالماً، وعلماً يقتفى أثره، ويتبع سننه، وهذه الطريقة التي وصفها وبينها وأوضحها وعرف أن الصحابة - رضوان الله عليهم - احتذوها، هي التي يجب على قراء القرآن أن يمتثلوها في التحقيق، ويسلكوها في التجويد، وينبذوا ما سواها مما هو مخالف لها وخارج عنها، وعلى ذلك وجدنا الأئمة من القراء والأكابر من أهل الأداء(١).

وفي كتاب السبعة لابن مجاهد قال : كان ابو عمرو يسهل القراءة غير متكلف، يؤثر التخفيف ما وجد إليه السبيل.

فالحدر : هي قراءة من يتعجل القراءة مكتفياً فيها باظهار الحروف مع الأحكام، بحيث يفهمها من يكون قد سمعها عن ابي عثمان الهندي قال: أمر عمر بن الخطاب بثلاثة قراء يقرأون في رمضان، فأمر اسرعهم أن يقرأ بثلاثين آية وأمر اوسطهم أن يقرأ بخمس وعشرين، وأمر ادناهم ان يقرأ بعشرين. رواه عبد الرزاق في المصنف ٧٧٣٢/٢٦١/٤ والبيهقي في السنن الكبرى ٤٩٧/٢ واسناده صحيح.

التطبيق العملي للحدر :

١ - تدريب الطلبة على النطق بالحروف حسب الميزان الجديد (فالميزان تختلف سرعته حسب المرتبة).

٢ - مراعاة المعلم قراءة الحدر للتعليم امام الطلبة.

٣ - يقرأ المعلم قراءة الحدر للتعليم امام الطلبة.

٤ - يعيد الطلبة القراءة بعد المعلم حدراً.

٥ - يطلب المعلم من كل طالب اعادة الآيات والقراءة وتصحيح التلاوة والسرعة والميزان.

صفة قراءة القراء

وهذا أصل لصحة اقتران طبع أئمة القراءة في الترتيل والتحقيق والحدر والتخفيف، واختلاف مذاهبها فيما تلقته من أئمتها ونقلته عن سلفها. اذ معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بلحون العرب وأصواتها» يريد طباعها ومذاهبها، ولكل ضرب منه حد ينتهي إليه لايتجاوز، وغاية يبلغ اليها لا تخالف.

---

(١) التحديد في الاتقان والتجويد.

وعن أبي عمرو الداني : حدثني الحسين بن علي، حدثنا أحمد بن نصر بن منصور، ووصف قراءة أئمة القراءة السبعة قال :

فأما صفة قراءة من انتحل ابن كثير، فحسنه مجهورة بتمكين بين .

وأما صفة قراءة من ينتحل نافعاً فسلسة لها أدنى تمديد.

وأما صفة قراءة من ينتحل عاصماً، فمترسلة جريشة «شديدة» ذات ترتيل، وكان عاصم نفسه موصوفاً بحسن الصوت وتجويد القراءة.

وأما صفة من ينتحل قراءة حمزة، فأكثر من رأينا منهم، ما ينبغي أن تحكى قراءته، لفسادها، ولأنها مصنوعة من تلقاء أنفسهم، وأما من كان منهم يعدل في قراءته حدراً او تحقيقاً فصفتها المد العدل، والقصر والهمز المقوم، والتشديد المجود، بلا تمطيط ولا تشديق، ولا تعلية صوت ولا ترعيد، فهذه صفة التحقيق. وأما الحدر، فسهل التكلف في أدنى ترتيل وأيسر تقطيع.

وأما وصف قراءة من ينتحل قراءة الكسائي، فبين الوصفين في اعتدال، واما اصحاب قراءة ابن عامر، فيضطربون في التقويم ويخرجون عن الاعتدال. وأما صفة من ينتحل قراءة أبي عمرو، فالتوسط والتدوير، وهمزها سليم من اللكز، وتشديدها خارج عن التمضيغ: بترسل جزل وحدر بين سهل، يتلو بعضها بعضاً.

قال : والى هذا كان يذهب ابن مجاهد في هذه القراءة وغيرها، وبه قرأنا عليه، وبه كان يختار، وبمثله كان يأخذ ابن المنادي رحمة الله عليهما(١).

وقال محمد مكي نصر في نهاية «القول المفيد»: اعلم انه لا خلاف بين القراء بكل من الانواع المتقدمة، ومع ذلك مذاهبهم مختلفة. فكان ورش وحمزة يذهبان الى الترتيل الذي هو نوع من التحقيق، وعاصم في ذلك دون ورش وحمزة، وكان قالون وابن كثير وأبو عمرو يذهبون الى الحدر والسهولة في التلاوة، وكان ابن عامر والكسائي يذهبان الى التوسط، فقراءتهما الترتيل والحدر. وقال بعض شراح الجزرية: ما ذكر من تخصيص كل مرتبة ببعض القراء هو الغالب على القراء السبعة، وإلا فكل القراء يجيز كلا من المراتب المتقدمة.. ونستحب لكل انسان ما يوافق طبعه ويخف عليه.

---

(١) التحديد في الاتقان والتجويد ٩٥ - ٩٦ .

الفصل الخامس

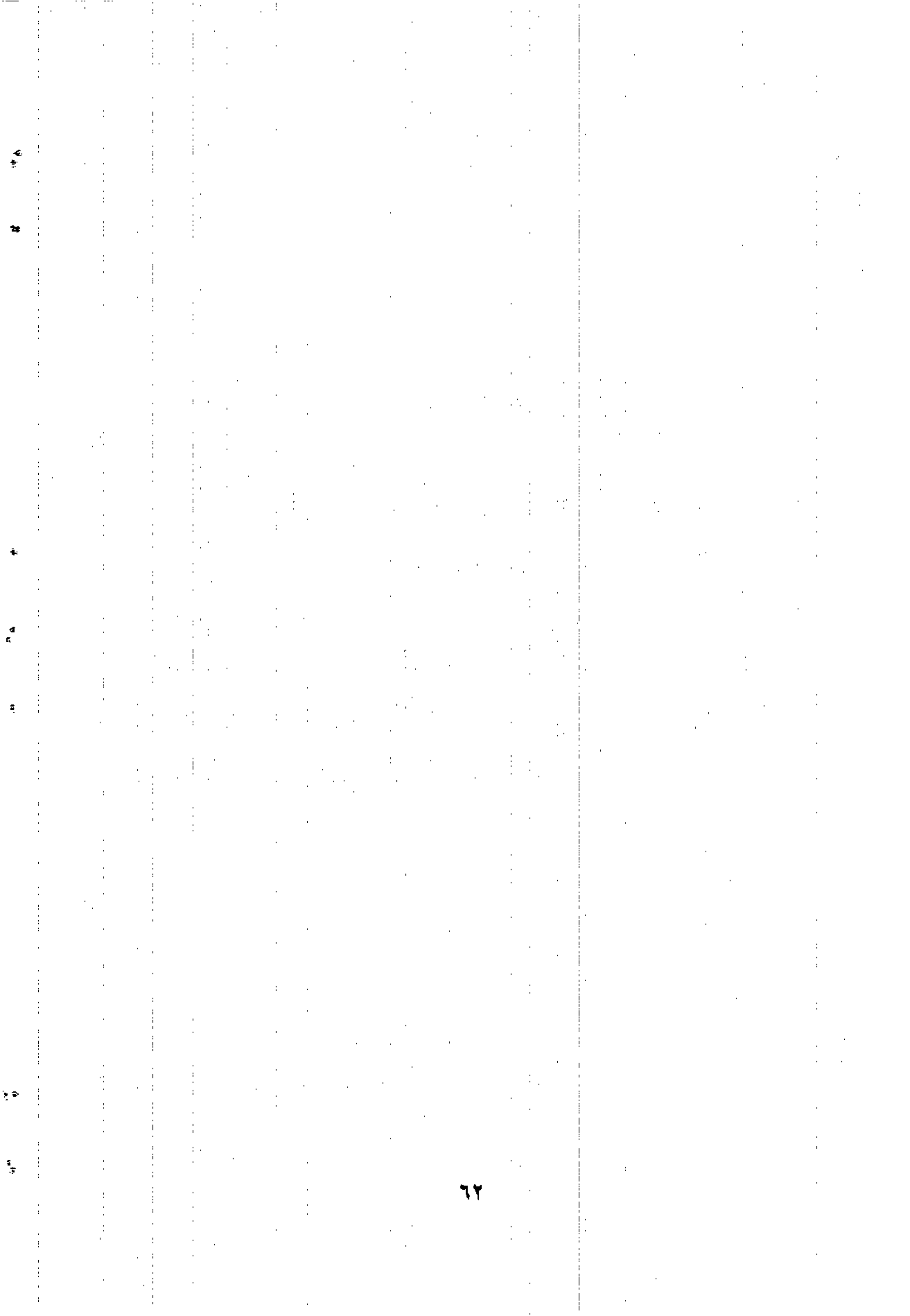
الباب الاول : الأداء والتنغيم في القراءة - حكم القراءة بالألحان.

الباب الثاني : الصوت - والنبر - والتنغيم - الاخطاء في النغمات.

الباب الثالث : الأمور التي ابتدعها القراء.

الباب الرابع :(الغناء عند الأولين - رأي الفقهاء في الغناء · سليمان بن عبد الملك والغناء - والغناء في هذه الايام).

الباب الخامس : القراءة للتكسب - الاجازة.



الباب الأول
الاداء والتنغيم في القراءة

الاداء القرآني : هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله.

يعني قراءة الكلمات باللفظ المؤدي للمعنى المطلوب، حسب ما تقتضيه الآية، وما تشتمله من معنى، وتصوير لفظي لمعنى الآية، ويشترك فيه اللسان والعقل والقلب. فحظ اللسان تصحيح الحروف، وحظ العقل الوعي والتفسير، وحظ القلب الاتعاظ والتدبر والائتمار. فالكلام اذا خرج من القلب دخل القلب، واذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان.

أخرج ابو داود والنسائي عن عوف بن مالك قال : «قمت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ» يتجاوب مع الكلمات والآيات قراءةً وأداءً وتدبراً، وعن علي كرم الله وجهه قال: قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب.

وقال صلى الله عليه وسلم : «زينوا القرآن بأصواتكم» صحيح ابي داود ١٣٢٠ .

وأما القراءة بالالحان، قال الماوردي : القراءة بالالحان الموضوعة ان اخرجت لفظ القرآن عن صيغته بإدخال حركات فيه او اخراج حركات منه، او قصر ممدود او مد مقصور او تمطيط يخفى به بعض اللفظ ويلتبس المعنى فهو حرام، يفسق به القارئ، ويأثم به المستمع، لأنه عدل به عن نهجه القويم الى الاعوجاج، والله تعالى يقول: «قرآناً عربياً غير ذي عوج»، قال: وان لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته على ترتيله، كان مباحاً، لأنه زاد على الحانه في تحسينه. هذا كلام اقضى القضاة،

وقال الجعبري :

اقرا بألحان الأعارب طبعها   وأجيزت الأنغام بالميزان

حفظ ابو موسى الأشعري القرآن وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أطيب الناس صوتاً بالقرآن، سمع النبي صلى اله عليه وسلم قراءته فقال: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود» وقال ابو موسى: يارسول الله، لو اعلم تتسمع لحبرته تحبيرا.

يعني لحسنت صوتي بتلاوته تحسيناً يطربك ويسرك، فالصوت الحسن واللفظ العذب يزيده حلاوة وطلاوة وبراعة في الاسماع والقلوب، لاسيما اذا سمع كذلك من قارئ مجود صاحب قلب منيب وخوف شديد، فقارئ القرآن يصور بشعوره الفياض

ونبرات صوته ما يعتلج في الجنان، فيهز النفوس ويأسر القلوب، ويستولي على المشاعر، وقال صلى الله عليه وسلم: «حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً» صحيح ابي داود ١٣٢٠. فالمراد هو التلاوة بالاداء الحسن، والتقيد بالاحكام، والصوت الجميل، مع ادراك المعاني، والتأثر بها حساً ومعنى، تطرب له القلوب قبل الاسماع، فالصوت الجميل هبة من الله سبحانه، وكل صوت له طابع خاص مميز عن غيره.

حكم القراءة بالألحان

قال ابن حجر «اعلم ان كل ما أجمع القراء على اعتباره من مخرج ومن ادغام واخفاء واظهار وغيرها وجب تعلمه وحرم مخالفته»(١).

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتحسين الصوت بالقرآن فقال: «زينوا القرآن بأصواتكم»(٢)، وقال رداً على سؤال: من أحسن الناس صوتاً بالقرآن؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام: «من إذا سمعته يقرأ أريت انه يخشى الله»(٣)، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة العشاء بـ «والتين والزيتون» فما سمع صوت اجمل من صوته، متفق عليه، من حديث البراء بن عازب(٤).

أما بعض قراء هذا الزمان، فقلما تخلو قراءتهم من اللحن، وكل همهم التغني بالقرآن للاشتهار، فهم ابتدعوا في القراءة اشياء كثيرة لاتحل ولا تجوز، وذلك بالزيادة والنقص بواسطة الانغام، لأجل صرف الناس الى حسن صوتهم والاصغاء الى أنغامهم، فيفرط في المد، ويشبع الحركات حتى يتولد من الفتحة الف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير موضع الادغام، فإن لم يصل الى هذا الحد، والتزم بالاحكام والمعنى والميزان فلا كراهة.

وجماع الأمر : القراءة بالالحان إن أخرجت لفظ القرآن عن صيغته ومراده او احكامه، او يلتبس المعنى، فهو حرام يفسق به القارئ، لانه عدل عن نهجه القويم الى الاعوجاج، وإن لم يخرجه اللحن عن لفظه وقراءته، كان مباحاً، لأنه زاد في تحسينه.

---

(١) القول السديد ٨ .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وصحيح الجامع.

(٣) حديث صحيح المشكاة ٢٢٠٩ .

(٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته ١٢٠٢ .

وليحذر القارىء من النفاق، ففي الحديث الصحيح : «اكثر منافقي أمتي قراؤها» وكذلك في الحديث الصحيح: «أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع، حتى لا ترى فيها خاشعا»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «بأدروا بالأعمال ستاً، إمارة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفاف بالدم، وقطيعة الرحم، ونشواً يتخذون القرآن مزامير، يقدمون احدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقها»(٢).

وفي الحديث الطويل «إن اول الناس يقضى يوم القيامة عليه.. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي في النار..» حديث صحيح.

الباب الثاني
الصــــوت

إذا خرج الهواء من الرئتين بدافع الطبع ولم يسمع له تموج، يسمى نفساً، وإذا خرج الهواء من الرئتين بدافع الارادة، وسمع له تموج، يسمى : صوتا، وإذا اعتمد هذا الصوت على مقطع مقدر او محقق من الحلق او اللسان او الشفتين، يسمى حرفاً.

والتموج، هو ناتج عن اهتزاز الاوتار الصوتية في الحنجرة..

فإن اندفع الصوت خلال الوترين الصوتيين بدافع الارادة، يهتزان ويحدثان صوتاً تختلف درجته حسب هذه الهزات كما تختلف شدته حسب سعه الاهتزاز، فاذا نطقنا بالحرف، نشعر باهتزاز الوترين الصوتيين.

ضع اصبعك في إذنك تشعر برنة الصوت، ولو وضعت كفك فوق جبهتك، تشعر برنين الصوت، وهو أثر نبذبة الوترين الصوتيين.

تلحظ اهتزازها واضحاً في الحروف المجهورة، وتكاد لا تشعر بها في الحروف المهموسة.

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢٥٦٩ .

(٢) نفس المصدر ٢٨١٢ .

والوتران الصوتيان: هما رباطان مرنان يشبهان الشفتين، يمتدان افقياً من الخلف الى الأمام.

وتتوقف درجة الصوت على السن والجنس، فالاطفال والنساء أحد اصواتا من الرجال، وذلك لأن الوترين الصوتيين عندهما أقصر وارفع، ويؤدي هذا الى زيادة في سرعتهما وعدد ذبذباتهما في الثانية.

والطفل حين يصل الى سن البلوغ، يتضخم وتراه الصوتيان ويطولان، ويترتب على هذا خشونة في الصوت، لأن عدد ذبذبات الوترين الطويلين الضخمين اقل اهتزازاً.

وطول الوتر الصوتي في الانسان البالغ حوالي ٢٢ ملم، ويمتد احيانا الى ٢٧ملم، وعدد الذبذبات في الحنجرة كما قدرها العلماء بين ٦٠-١٢٠٠ ذبذبة في الثانية، ولا يوجد أي فرق مادي بين حنجرة وأخرى، فحنجرة القارئ لا تختلف عن غيره، وانما الفرق في الموهبة التي اختص بها، وهي الاوتار الصوتية، وسيطرته على عملية التنفس، والقدرة على تكييفه واخضاعه لارادته بالمران، وليس بين المرء وتركه الا رياضة امرئ بفكه، بالمران يملك زمام تنفسه، وينوع في درجات صوته، مع الرياضة المستمرة للحنك والتفخيم والترقيق.

ومثل هذا، مثل صاحب الخط الجميل، لا فرق بين عضلات يده من الناحية التشريحية، وبين إي عضلات اخرى، ولكن سيطرة صاحب الخط الجميل على حركات اصابعه، هي مصدر جمال خطه، والانسان بطبعه يميل الى الاقتصاد في مجهوده، والكسل لا يؤدي الى نتيجة مرجوة.

وتقنينه لطول النفس، والتحكم بخلاء الجوف والفم والحلق فيملك زمام تنفسه، وبالمران الشديد يتحكم بخلاء الحلق والفم وحركة اللسان، ففراغ الحلق والفم تستغل في تفخيم الحروف وترقيقها، وعلم الاصوات والالحان علم قائم بذاته له قواعد وأساليب وهو علم كسبي يؤخذ بالتلقي والمشافهة.

انما العلم بالتعلم، غير ان هذا العلم يحتاج الى أذن متميزة صاغية، ورغبة صادقة، وقلب خاشع، ودأب على سماع القرآن من المجيد المتقن، وتدريب مستمر.

النبـــــر

النبر : وهو الضغط على مقطع خاص من كلمة ليجعله بارزاً، اوضح في السمع من غيره عن مقاطع الكلمة، وهذا الضغط هو الذي نسميه بالنبر. نطق الجمل لا يكون صحيحاً إلا إذا روعي فيه موضع النبر.

ولمعرفة موضع النبر من الجملة، لابد من معرفة المعنى المراد توصيله للسامع، وهذا يسمى نبر الجمل، وهو ان يعمد المتكلم الى كلمة في جملته فيزيد من نبرها، ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تاكيدها، او الاشارة الى غرض خاص قصدت اليه. وقد يختلف الغرض من الجملة تبعاً لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها، ففي جملة عربية مثل «هل سافر اخوك البارحة» يختلف الغرض منها باختلاف الكلمة التي زيد نبرها، فحين زيد نبر «سافر» قد يكون معناها ان المتكلم يشك في حدوث السفر من أخ السامع، فاذا ضغط على كلمة أخوك، فهم من جملة المتكلم ان الشك في فاعل السفر، فربما كان ابوه او عمه او اخوه، واذا زيد نبر كلمة «البارحة» فهم من الجملة الشك بتاريخ السفر، وهكذا. ومثال آخر: «هل نجح اخوك في الامتحان» فنبر: نجح، تدل على الشك من المتكلم في وقوع النجاح، أي ان الشك واقع على النجاح واما نبر كلمة اخوك، فتدل على الشك في احرازه من قبل أخ المخاطب.

مثال آخر «أأنت قلت للناس» فنبر : أأنت، تدل على الشك في القائل، ونبر: قلت، يدل على الشك في القول والدلالة الصوتية تعتمد على تغيير في معاني هذه الالفاظ، فكل تغيير في الأداء، لابد ان يعقبه اختلاف في المعنى وسياق الحال.

والشيء الذي يجب على القارئ ان يعرفه، أن المقطع المنبور، غالباً ما يكون له حركة طويلة، بمعنى ان النبر عادة ما يكون في حروف المد الثلاثة (الالف والواو والياء الساكنة وحركة ما قبلها مجانسة لها). او الغنة، مثل: أنت ولهذه القوة والضعف في النبر، قياسات على مستوى الصوت، وهي على ثلاث مستويات، أي ثلاثة انواع هي :-

١ - النبر القوي.
٢ - النبر المتوسط.
٣- النبر الضعيف.

فنبر السياق الذي يقع في الجمل الكلامية، صالح لأن يقع في عدة اماكن من

الجملة، والمسافة بين كل حالتي نبر في الكلام المتصل متساوية، وهذا ما يسمى بالايقاع، «الوحدة الثابتة» والايقاع يحصل بتسلسل وتناسق الفاظ عدة في العبارة، والذي يتحكم بهذا الايقاع المتناسق هو المعنى، والقارىء يصور لنا المعنى بصورة محسوسة، فالكلام كائن حي، روحه المعنى وجسمه اللفظ، والأداء هو إلباس اللفظ ثوب المعنى، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، والأداء الشريف.

فالمعنى هو الذي يستدعي الأداء، فدراسة النبر ودراسة التنغيم والتفسير أمور متلازمة، وهي تؤخذ بالتلقي والمشافهة من فم الشيخ المتقن.

التنغيم

التنغيم يتوقف على المقطع والمعنى، من فرح او حزن، او تقرير او سؤال، بالتطويح والتطريح، والتفخيم والتعظيم والترقيق، فتزيد في قوة اللفظ، او تتمكن من تمطيط حرف المد، رفعاً او تخفيظاً، حسب ما يقتضيه المعنى.

مثال «كان والله رجلاً» يقول ابن جني: «التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم، فتزيد في قوة اللفظ، وتتمكن من تمطيط اللام، واطالة الصوت بها وعليها.

والمقصود تزيد قوة اللفظ، وتفخم اللام، وتمد الالف، مع تفخيمها، وتتمكن من تمطيطها بقدر حقها، وهو نبر الالف المفخمة في لفظ الجلالة.

فالمقطع المنبور : غالباً ما يكون له حركة طويلة، ويلفظ بكيفية خاصة، وهناك علاقة بين النبر وطول المقطع، فكثيراً ما نلجا للدلالة في لهجاتنا واحاديثنا خاصة حين نمدح او نذم، او نود ان نتحاشى ذكر الفاظ او أوصاف بعينها.

واما التنغيم، فصلته وثيقة بالنبر، فلا يحدث تنغيم دون نبر لمقاطع الجملة.

والتنغيم هو : مصطلح صوتي دال على الارتفاع والانخفاض في نبر الكلمات.

بمعنى تغيرات ايقاعية تتناوب الصوت من صعود الى هبوط، او من انخفاض الى ارتفاع، تحصل في الأداء لغاية وهدف، حسب المشاعر والأحاسيس التي تنتابنا من رضاً وغضب، وحزن ويأس، وأمل وتأثر، واعجاب واستفهام، وشك ويقين، ونفي واثبات، فنستعين بهذا التغيير النغمي، الذي يقوم بالتفريق بالأداء بين الجمل.

فنغمة الاستفهام تختلف عن نغمة الإخبار، وتختلف عن نغمة السؤال، ونغمة النفي تختلف عن نغمة الإثبات، وهكذا والتنغيم يصاحب القراءة، فينبه ويثير ويؤثر، ويتطلب حالة من الانتباه والمتابعة للمعنى، فهو يقوم بوظيفة دلالية بما يصاحبه من قرائن،

كتجهم الوجه او اقباله، وانفراج اساريره، او حزن وبكاء وتأثر واضح.

وقال السخاوي :

رتل ولا تسرف واتقن واجتنب   نُكراً يجيء به ذوو الألحان

فالترتيل سليقة حسنة سليمة من اللحن والتعسف والتكلف، ومن كانت سليقته شوهتها العجمة، أو من كانت العجمة أصلاً فيه، فإن عليه أن يكتسب هذه السليقة العربية الفصيحة بالدربة والتلقين ورياضة اللسان، حتى يصبح التجويد ملكة مكتسبة، وإذا وصل الى هذه الملكة صار لسانه سلساً فصيحاً، ينطق بالنطق العربي الفصيح المجود، دون أي كلفة أو تصنع او تعسف، فإذا آتاه الله مع ذلك صوتاً حسناً يخلب الالباب، فذلك من نعمة الله عليه وعلى سامعيه، لأنه يحرك القلوب، ويستولي على الألباب، ويزيد القرآن بصوته وتجويده حسناً على حسن، كذلك كان شأن نبي الله داوود عليه السلام، اذا رتل أثر ترتيله في الجمادات والحيوانات، ومن كان ذا صوت وتجويد، فقد أوتي مثل ما أوتي داوود عليه السلام..

فإذا جمع المرتل مع ذلك فقها بمعاني القرآن، وتقوى في نفسه، وخوفاً من الله، واستحضر معاني الآيات عند ترتيلها، منتبها الى فواصل المعاني، ومواضع الوقف، مفصلا بذلك المضامين تفصيل عارف فقيه، مستشعراً أثناء التلاوة عظمه الخالق، المتكلم بهذا القرآن، فأنه حينئذ يجعل أفئدة السامعين تذوب وجداً وإيمانا واستعذاباً لما تسمع، ويذيقها بذلك متعة لا تماثلها متع الدنيا المسموعة والمحسوسة والمعقولة، وهكذا كان مقام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو حذيفة : سمعت أبا موسى يقرأ، فما سمعت والله صوت بربط، ولا صوت صنج قط، ولا صوت ناي قط، أحسن من صوت أبي موسى.

لكن قوماً حرموا هذه الدرجة الرفيعة التي يتربع فيها القارىء عرش الترتيل مع الملائكة، ولم يؤتوا الا أصواتا خلت من التأثير، تخرج من حناجرهم فلا تتجاوز الآذان، ليسوا مجودين ولا مرتلين، إنما هم مغنون متكلفون متكسبون. وهذا وصف أكثر من يقرأ في الاذاعات، من أهل الألحان والانغام والموسيقى في هذه الأيام.

وما أكثر ما يأتون بالنكر من الالحان، الذي تتنزه عنه القرآن، ويعانون في سبيل ذلك ما يعانون من جهد ومشقة والله لو رأيت أحدهم وقد برزت عروق رقبته الغليظة، وجحظت حدقتاه واحمرتا، وكادت عيناه تقفزان، وهو يرفع عقيرته لأقسمت بالله ثلاثين، أنه ليس مجوداً.

التطبيق العملي للتنغيم

١ - لابد لكل قارئ في باديء الأمر من تقليد قاريء جيد، ذي صوت حسن يتأثر به، ويطرب لأدائه وتلاوته، فيتتبع قراءته وطريقته، ويحاول تقليده.

٢ - يتتبع كيفية البداءة في التلاوة، وكيفية التنقل من أداء الى آخر، ويستمر بالتمرين، حتى تصقل نبرات صوته.

٣ - يشرع بالتلاوة بهدوء وأناة، غير مرتفع الصوت، محاولاً التقليد، ويستمر بنفس مطمئنة خاشعة، محافظاً على طبقة صوته مدة يتأثر المستمعون بتلاوته، ويخشع قلبه اثناء الأداء.

٤ - ثم يشرع برفع صوته تدريجياً شيئاً فشيئاً بما لا يزعج السامع، ويطرب الحضور بسماعه، ثم ينتقل بعدها حسب ما تقتضيه الآيات، وحسب ذوقه وتصوراته المتناسبة مع التلاوة.

٥ - يعطي الشدة، ويظهر الترهيب مع آيات الترهيب والقتال والجهاد، ووصف العذاب وألم اهل النار، كما يعطي الحنان بصوته الجميل، والتشويق في آيات الترغيب، ووصف الجنات والنعيم، وما اعده الله للمتقين والصالحين، دون خلل في الاحكام، فينتقل من الطبقة الهادئة، ثم يرتفع وينتقل بين قرار وجواب، حسب سياق الآيات، وذوقه وعلمه بالمعاني، والتحزين، والانتقال من حال الى حال، ومن مقام الى مقام، ثم يعود ويختم القراءة في الطبقة الصوتية التي ابتدأ بها.

٦ - اذا تم له ذلك بتوفيق من الله عز وجل، يترك التقليد وينفرد بنفسه، وينهج طريقاً خاصاً، مظهراً حقيقة صوته ونبراته ومواهبه وصوته، ويحسن ان يكون ذلك تحت اشراف شيخ مختص بهذا الفن.

(الايقـــاع)

الوحدة : هي مسافة بين النبر الأول والنبر الثاني، في نبر الجمل.

الايقاع : هو الحركة الرتيبة بوحدات ثابتة، ومجموع هذه الوحدات يسمى «ايقاعاً».

والايقاع : فترات مألوفة متساوية، وهي ظاهرة مألوفة في طبيعة الانسان، فبين ضربات

القلب انتظام، وبين وحدات التنفس انتظام، وبين النوم والتيقظ انتظام، ومن الواضح لن هذا الايقاع الفطري فينا هو ما يجعلنا نتوقعه في مدركاتنا، ونستريح اذا وجدناه، ويصيبنا القلق اذا فقدناه، واصبح كل عمل نؤدية خاضعا لنوع من الايقاع، وهو كطبقة في اعماق الشعور، وهي مدة زمنية متناسقة.

١ – النغمة الهابطة من اعلى الى أسفل على آخر مقطع وقع عليه النبر اكثر ما تستعمل في التقرير، لتفيد ان الجملة قد انتهت.

٢ – النغمة الصاعدة من اسفل الى اعلى على آخر مقطع وقع عليه النبر، تدل على ان الكلام بحاجة الى اجابة، وغالبا مايكون استفهاماً او سؤالاً.

٣ – النغمة المسطحة المتوسطة، لا هي بالصاعدة ولا بالهابطة على آخر مقطع، كالوقف على : البصر – والقمر – «فاذا برق البصر، وخسف القمر» لا اقرار ولا سؤال، وانما ادراج القراءة.

٤ – النغمة الهابطة من اعلى الى اسفل في عدة مقاطع في الجملة بايقاع ثابت يدل على الحزن او التحزين كما في الرسم الموضح في شكل(١) وهذا ما يسمى بالتطريح

٥ – النغمة الصاعدة من اسفل الى اعلى في عدة مقاطع في الجملة بايقاع ثابت يدل على الفرح كما في الرسم الموضح شكل (٢) وهذا ما يسمى بالتطويح.

٦ – النغمة المسطحة المتوسطة كموج البحر، لا هي بالصاعدة كثيرا ولا بالهابطة كثيرا، بايقاع ثابت، تدل على القراءة الرتيبة، وعادة ما يبتديء بها القاريء بطبقة ثابتة وحركة رتيبة كما في الشكل (٣).

٧ – وهناك تركيب بين هذه النغمات، كأن يبدأ بالنغمة الصاعدة وينهيها بالنغمة الهابطة، او يبدأ بالنغمة الهابطة وينهيها بالنغمة الصاعدة، وهكذا المزج بين النغمات حسب ما تقتضيه المعاني والأداء، بالأداء المهذب، والنغم المقرون بالحشمة والوقار. لأن القصد فيه التعبد لا الترفيه، فتميل اليه النفوس للتوافق بين الفاظه المنسقة «نظمة المعجز» وبين النغمة العذبة، ليظهر الاعجاز اعظم، ويدخل المعنى في قلب السامع بسهولة، فيجذب القلوب والاسماع، واجتماع النغم والصوت الجميل واصول الاحكام والتجويد، حقيق ان يكون في حلية التلاوة، والاسماع اكثر اصغاء للاصوات الطيبة.

والحناجر التي وهبها الله الرخامة والبحة، لأفضل من كل موسيقى، وهي اكمل آلات الطرب.

الصوت البشري

النطق هو أول خواص الانسان وأعظمها وضوحا، بها تميز الانسان، والصوت البشري هو أكمل آلة موسيقية على الاطلاق - من حيث الامكانيات والقدرة على اصدار الأصوات، وهي الأداة التي يعبر الانسان عن أحاسيسة ومشاعره، وأفكاره، وهي أداة التفاهم والتقارب والاتصال. لكل شخص صفات وخصائص صوتيه خاصة به، وتميز صوته عن صوت الآخرين، فهو نسيج قائم بذاته، وتختلف درجات الصوت البشري تبعا لاختلاف السن والجنس، فدرجات أصوات الأطفال والنساء أحد من درجات أصوات الرجال، كما تختلف درجات الأصوات بين النساء والرجال تبعا لمساحتها أو محيطها ولا يوجد أى اختلاف بين أعضاء نطق أشهر المغنين أو المقرئين مع الرجل العادي من الناحية التشريحية، والفرق هو أن المقرىء يملك موهبة من القدرات الخاصة المكتسبة من التعلم وطول المران، فيملك بين زمام تنفسه وتنظيمه، وقادر على التحكم في أعضاء نطقه، والمران والاستعداد النفسي والشخصي.

معنى الصوت البشري :

نستطيع أن نتعرف بوضوح - الحالة النفسية للمتكلم ان كان يعاني من الخوف والفزع، والحزن والغضب، والسعادة والفرح، متعبا ومجهدا، مستيقظاً من النوم مباشرة أم مرتاحا، يعاني من اضطراب في النطق أم ضعيف السمع، ونميز بين الأشخاص، والتعرف على أصحابها، وعمر المتكلم، وشخصية المتكلم : - رزينا أم أهوجا، حكيما أم أبلها، ثرثارا أم كتوما، وبيئة المتكلم من خلال لهجته والفاظه، وجنسيته وبلده، وقصده في المعنى من نبر كلماته.

(العوامل المساعدة على التنغيم) والتفعيلية والنبر والزمن :

١ - العوامل الزمنية : وهي تشتمل على الايقاع والميزان أو مرتبة القراءة وطول الآية:-

أ - الايقاع : وهو تتابع تنظيم للنبرات والوقفات - والايقاع ظاهرة من ظواهر الحياة كالنبض، والتنفس، كل البشر يمتلكون الايقاع - كتنظيم الخطوات عند سماع فرقة عسكرية تعزف مارشا عسكريا عربيا، فيتم التنسيق بين الأثر السمعي والاستجابة الحركية.

ب - ميزان الحرف ومقدار كل حرف ومدته الزمنية.

ج – التفعيلة : النماذج الايقاعية المحددة ومقدارها الزمني المتناسب، مثلا ثلاث ضربات ايقاعية متكررة في الوحدة الواحدة، أو ضربتين ايقاعيتين على نحو متكرر كبحور الشعر.

د – النبر في أول التفعيلة أو في وسطها أو آخرها.

و – الزمن : سرعة الايقاع، الترتيل أم التدوير أم الحدر، سريع أم متحرك الخ. فهو يتضمن تكامل جميع العناصر.

٢– العوامل العاطفية والاستعداد النفسي، وامكانية تفاعل العواطف لتصوير المعنى.

٣ – العوامل الذهنية : وهو الفهم المنطقي للأشكال والنماذج الايقاعية وتذوق انتظام الرسائل الرمزية، وفهم لغتها وهو يعتمد على التعلم للبناء التركيبي، أو ارادة الفهم، إنما العلم بالتعلم.

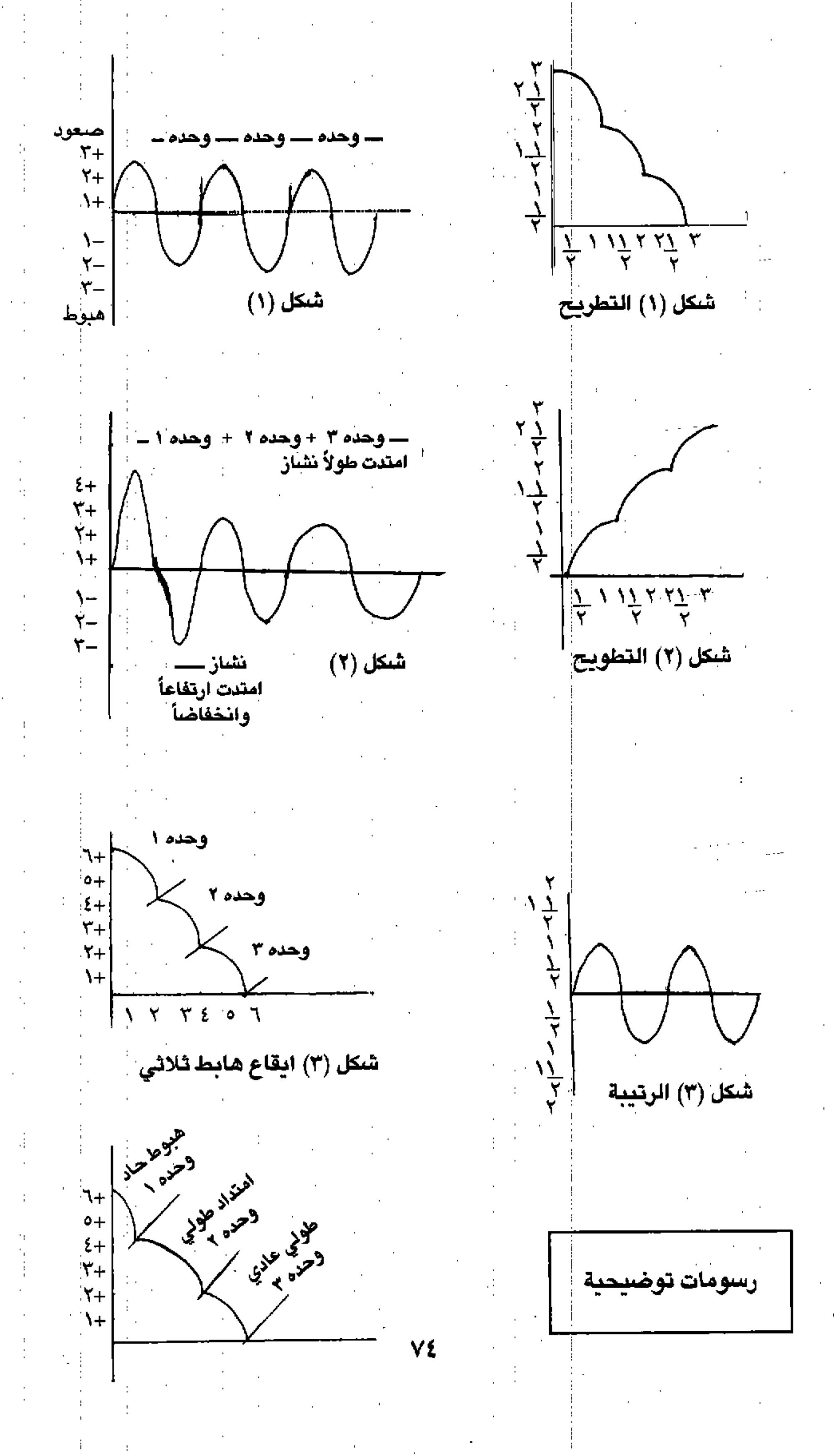
٤ – فهم معنى الآية ومحاولة تصويرها بما يتناسب مع اللفظ، فالكلام اذا خرج من القلب دخل القلب واذا خرج من اللسان لم يتعد الآذان.

فعلى القارىء أن يحاول صقل الموهبة – وتغير الايقاع، ومحاولة تقليد النغمات الفردية، واختيار درجة السمع النسبية، والفرق بين النغمات، والحس التناغمي، وانعاش الذاكرة النغمية. وطبقة الصوت المناسبة لامكانياته. والتفريق بين نغمات الاصوات، فيجب على القارىء أن يتفهم كل ما يتعلق بصوته من حيث كيفية. وطرق النطق، وينمي ويهذب ويطور قدراته الخاصة بصوته. والتحكم التام باجهزة وأعضاء اصدار الصوت. واصدار أعذب الاصوات لديه باقل مجهود، والقدرة على حماية ووقاية صوته من الامراض الوظيفية الناتجة عن الاستخدام الخاطىء لصوته.

الاخطــاء في النغمات

النغمة المسطحة : الخط العمودي للصعود والهبوط، والخط الافقي لطول الايقاع في الجملة كما هو مبين في الرسم شكل (١). – ثلاث وحدات –

النغمة المسطحة هذه، فيها ثلاث وحدات متساوية في الطول، وهذا ما يسمى «الايقاع»، وطبقة الصوت في الوحدات الثلاث لا تزيد عن +٢ ولا تنقص عن –٢ في جميع الوحدات، فإن ارتفعت عن +٢ او –٢ يسمى «نشازاً»، أي ارتفع عن حقه، كما في شكل(٢).



شكل (١) التطريح
شكل (١)
صعود
هبوط
وحده — وحده — وحده
شكل (٢) التطويح
وحده ٣ + وحده ٢ + وحده ١
امتدت طولاً نشاز
نشاز
امتدت ارتفاعاً وانخفاضاً
شكل (٢)
شكل (٣) الرتيبة
وحده ١
وحده ٢
وحده ٣
شكل (٣) ايقاع هابط ثلاثي
هبوط حاد وحده ١
امتداد طولي وحده ٢
طولي عادي وحده ٣
رسومات توضيحية

وحدة (١) -
وإذا امتدت الوحدة كما في وحدة (٣) اختل الميزان في طول الوحدات، فيعتبر ايضاً إخلالاً في الايقاع، وهو زيادة في المط والطول، ويسمى ايضاً: إخلالاً في الميزان الطولي للايقاع في الوحدة الثابتة.
النغمة الهابطة : كما في شكل (٣) طول الوحدة الاولى والثانية والثالثة متساوية، وهو ايقاع هابط ثلاثي.

وفي الشكل (٤) هبوط حاد في وحدة (١)، امتداد في وحدة (٢)، طول عادي في وحدة (٣)، وهذا يسمى نشوزاً في الوحدة الاولى والثانية ومثلها في النغمة الصاعدة.

ولايقرأ القرآن على هيئة المقامات الغنائية، ولا يلجأ في قراءته الى استيعاب ما في كل مقام من تفرعات، لأن تفرعات الانغام في المقام لها طبيعة ودوافع لا يعرف مثلها في تلاوة القرآن، فللقرآن أدبه وحشمته، وله من ادوات التعبير ما لا يتحقق في اللجوء الى الاناشيد والموسيقى، فللشعر اسلوبه، وللغناء اسلوبه، وللقرآن اسلوبه، فقراءة القرآن لها مقاييس دقيقة(١).

فلا يجوز لقارئ ان يمد اكثر مما قرر له، ولا أقل من ذلك. وكذلك القول في الغن، وميزان الحروف، كما اسلفنا، وهناك مصطلحات فن التجويد، والالتزام بالأحكام، وللشعراء ان يتخطوا الحدود في مد ما هو من فصيلته، ولو التزم بميزان لضاق عليه. وينسحب هذا على مسائل عدة، فيختلف فيها الغناء عن القراءة.

وقارئ القرآن إن اراد أن يحاكي قارئ المقام، وجب عليه ان يفرط بقواعد التجويد، وفي هذا التفريط - ان وقع - لحن وخطأ في القراءة.

وان ظل ملتزما بقواعد التجويد والاحكام، دون ان يتابع قارئ المقام حذو القذة بالقذة، فإنه لا يكون قرأ بالمقام، ولا التزم به، والمقرئون يعرفون هذا. وان وجد فيهم من حاول الالتزام بالمقام، فلابد ان يقع في اللحن، لذلك يجب التمييز بين الانغام في مادة التلاوة، فالتلاوة قراءة وتلاوة، وللنشيد والمقام وضع آخر، وان جمع بينهما مصطلح النغمة والتنغيم، وللقرآن نغم خاص.

فالمدود والغنن من معالم التنغيم، وهي تصلح للتطبيق النغمي والتموج الصوتي تلقائيا، غير ان المجودين كانوا أمناء على قواعد الاحكام، بسبب قدسية النص،

(١) قواعد التجويد والالقاء الصوتي/الشيخ جلال الدين الحنفي ٢٨٩ .

والحرص على الالتزام بالتطبيق الادائي بكل دقة، وكانت هذه القواعد تؤخذ من افواه الرجال ولا تؤخذ اعتباطاً، فإن النغم ليس بالأمر الموكول الى المزاج، بل قضايا منتمية الى قوانين علمية هي في غاية الدقة.

ومن البديهي ان يكون دور النغم في التلاوة دوراً يتأتى به تركيز المعنى القرآني في النفوس، ولابد من اضافة معارف ثقافية للقارئ، من دراسة بلاغة وادب وتفسير، فنحن بحاجة ماسة الى مقرئين من طراز يتناسب مع عظمة القرآن وقدسية تلاوته، ويبرز عظمة اعجازه، ويستنشق الناس من ادب تلاوته ما يحيي افئدتهم، وتخشع له جوارحهم، فحري بهذا العلم ان يأخذ مكانته اللائقة، ولابد من تدريب قواعد الالقاء الصوتي، أداء ونغماً، ولابد من ايجاد فئة يحسنون تعليمه وفئة يجيدون تلاوته، ولابد من اكتشاف الاصوات الرخيمة، والحرص على تعليمها ونقدها واظهارها.

الباب الثالث

الامور التي ابتدعها القراء

اعلم ان قراء زماننا ابتدعوا بدعاً كثيرة لا تحل ولا تجوز، بواسطة الانغام، لأجل صرف الناس الى سماعهم، والاصغاء الى نغماتهم، من غير الرجوع الى شيوخ الاداء المتقنين للأخذ عنهم، والحاجة في هذا العلم الى شيخ متقن آكد من غيره من العلوم.

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة — يكن عن الزيغ والتصحيف في حرم
ومن يكن آخذاً للعلم من صحف — فعلمه عند اهل العلم كالعدم(١)

فالقراء يتفاوتون في مراتب أخطائهم، وإليك بعض هذه الاخطاء على سبيل المثال لا الحصر، منها:

١ - **ترجيع الغناء**: فإن ذلك لا يجوز، لما فيه من اخراج التلاوة الى الطرب، وتشبيه كلام رب العالمين بالأغاني، وهو ترديد الصوت في الحلق، حكى عبد الله بن مغفل ترجيعه عليه السلام نحو : - آآآ - قال ابن الاثير : وهذا انما حصل منه - والله اعلم - يوم الفتح، لأنه كان راكباً فحدث الترجيع في صوته(٢).

٢ - **الترقيص** : ومعناه ان الشخص يرقص صوته بالقراءة، فيزيد في حروف المد - كالمتكسر بالرقص، يروم السكت على الساكن ثم ينفر عنه في عدو وهرولة.

(١) ذكره الحداد في كتابه «القول السديد في بيان حكم التجويد» ولم ينسبه الى قائل معين.
(٢) فضائل القران في السنة المطهرة (٤٥).

٣ - **التحزين** : كأنه حزين يبكي من خشوع وخضوع، وان كانت الآيات تتحدث عن النعيم، وما اعد الله للمومنين من أجر وثواب، او أحكام: افعل ولا تفعل، وإنما نهي عنه لما فيه من الرياء والتبذل.

٤ - **الترعيد** : أن يرعد صوته - كأنه يرعد من شدة البرد أو ألم أصابه.

٥ - **التحريف** : تقطيع القراءة - كأن يأتي بعضهم ببعض الكلمة او الآية، والآخر ببعضها الآخر، او الآية الأخرى ويحافظون على مراعاة الأصوات، وكأنه شعر، ففيه اخلال بتعظيم القرآن.

واشار الى ذلك في شرح ابن غازي :

حدود حروف الذكر في لفظ قاريء	بحدر وتحقيق وتدوير مرتـــــلا
فإني رأيت البعض يتلو القرآن لا	يراعي حدود الحروف وزنا ومنزلا
فمنهم بترقيص ولحن وضجـــة	ومنهم بترعيـــد ونوح تبـــذلا
فما كل من يتلو القرآن يقيمـــه	ولا كل من يقرا فيقرا مجمـــلا
فذر نطق اعجام وما اخترعوا به	وخذ نطق عرب بالفصـــاحة سؤلا
فيا قاريء القرآن أجمـــل أداءه	يضاعف لك الرحمن أجراً فأجـزلا

٦ - **قراءة الكسلان** : وهي القرءاة باللين والرخاوة في الحروف، وكونها غير صلبة تشبه قراءة الكسلان او النعسان.

٧ - **قراءة المتشاجر** : تقطيع الحروف والنفر عند النطق بها والنبر بالحروف على صفة المتشاجر.

٨ - **السكت والتقطيع** : تقطيع الحروف، والمبالغة بما يشبه السكت عند بعض الحروف، قصداً في بيانها.

٩ - **اسقاط الحروف** : وخاصة الحروف المبدوء بها او الموقوف عليها، حتى لا يكاد يسمع له صوت.

١٠ - **التمطيط** : اشباع الحروف بحيث يتولد منها حروف مد بدل الحركة، مما يفسد المعنى.

١١ - **المبالغة في القلقلة او التفخيم والترقيق والهمز والمد**، وغير ذلك من الخروج عن ميزان الحروف.

١٢ - **الاشراب** : باشراب الحروف بغيرها، كالنطق بالسين زاي في «مسجد»، وضم الشفتين عند النطق ببعض الحروف وشوب الحروف المرققة بالإمالة.

١٣ - **اللوك** : لوك الحروف ككلام السكران، لاسترخاء لسانه، فتذهب فصاحته.

قال السخاوي :

لا تحسب التجويد مداً مفرطاً	أو مد ما لا مد فيــــــه لوان
أو أن تشدد بعد مد همـــــزة	أو أن تلوك الحرف كالسكران
أو أن تفوه بهمزة متهـــــوعاً	فيفر سامعها من الغثيـــــان
للحرف ميزان فلا تك طاغيـــاً	فيه ولاتك مخسر الميـــــزان
فإذا همزت فجيء به متلطـــفاً	من غير ما نبر وغير تـــــوان
وأمدد حروف المد عند مسكن	أو همزة حسنا أخا إحســـان

١٤ - **التقليد الأعمى بالسماع والتساهل في الاحكام والوقف والابتداء، وخلط القراءات.**

١٥ - **اظهار الميم المنقلبة عند الباء** - قال ابن الجزري : وقد زل بسبب ذلك قوم أطلقوا قياس مالا يروى على ما روي، وماله وجه ضعيف على الوجه القوي، كأخذ بعض الأغبياء بإظهار الميم المقلوبة من النون والتنوين(١). ويقول أيضاً: القلب: فعند حرف واحد وهي الباء، فإن النون الساكنة والتنوين يقلبان عندها ميماً خالصة من غير ادغام، وذلك نحو «أنبئهم، ومن بعد، وصم بكم» ولابد من اظهار الغنة مع ذلك، فيصير في الحقيقة أخفاء الميم المقلوبة عند الباء، فلا فرق حينئذ في اللفظ بين «ان بورك» وبين «يعتصم بالله» إلا أنه لم يختلف في إخفاء الميم، ولا في اظهار الغنة في ذلك، وما وقع في كتب بعض متأخري المغاربة من حكاية الخلاف في ذلك فوهم، ولعله انعكس عليهم من الميم الساكنة عند الباء، والعجب ان شارح ارجوزة ابن بري في قراءة نافع، حكى ذلك عن الداني، وإنما حكى الداني ذلك في الميم الساكنة لا المقلوبة، واختار مع ذلك الإخفاء(٢).

وقال الشيخ المرصفي : ونلفت نظر القارىء الكريم الى شيء هنا، يجب أن يراعيه حال أداء القلب، وهو ان يحترز عند التلفظ به من كز الشفتين على الميم المقلوبة، لئلا يتولد من كزهما غنة من الخيشوم ممططة، فليسكن الميم بتلطف من غير ثقل وتعسف، وكذلك الحكم بعينه في اخفاء الميم الساكنة قبل الباء، نحو «فاحكم بينهم» على القول بالإخفاء.

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/١٨ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢/٢٦ .

١٦ - **اقتصارهم على اظهار الميم الساكنة عند الباء**. أما الميم الساكنة فلها عند الباء وجهان: وجه الاخفاء مع عدم اطباق الشفتين، مع غنة بمقدار حركتين، ووجه آخر، هو الاظهار مع اطباق الشفتين، قال ابن الجزري: والوجهان صحيحان مأخوذ بهما، إلا أن الاخفاء أولى، للاجماع على اخفائهما عند القلب، فوجه الاخفاء مقدم لاشتهاره وكثرة من قرأ به. وهذا مذهب ابن الجزري، وهو الذي نقرأ به ونقدمه في الاداء، وقد تلقيناه عن مشايخنا.

١٧ - **الاخفاء** : وضع اللسان عند مخرج الحرف القادم، أما مذهب ابن الجزري، فهو: مخرج النون والتنوين مع حروف الاخفاء الخمسة عشر من الخيشوم فقط، ولاحظ لهما معهن في الفم، لأنه لاعمل للسان فيهما(١).

القراءة بالقراءات في الصلاة

الأئمة من الفقهاء في تاريخ حياتهم كانوا اذا ذهب احدهم الى منطقة الآخر يصلي بصلاتهم، فلا يستساغ ان يصلي احد بقراءة لم يعرفها أهل تلك المنطقة، قال صلى الله عليه وسلم: «من زار قوماً فلا يؤمهم، وليؤمهم رجل منهم» رواه ابو داود، فأهل المغرب يقرأون بقراءة ورش، وأهل الشام يقرأون بقراءة حفص عن عاصم، فلا يستساغ ان ذهب احد اهل الشام الى المغرب مثلا، ان يعيب في صلاتهم، او قراءتهم، او حتى الأولى ان لا يصلي بهم، لان ذلك يذهب الخشوع من قلوب المصلين، وربما يكرهون امامته، قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أم قوماً وهم له كارهون، وأمرأة باتت وزوجها عليها ساخط واخوان متصارمان» ابن ماجة.

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/٢٧ .

الباب الرابع
(الغناء عند الأولين)

قال تعالى : «وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية» سورة الانفال اية ٣٥ .

المكاء : الصفير – والتصدية : التصفيق، وهو منكر يطرب، ويخرج عن الاعتدال، وتتنزه عنه العقلاء، وهو عمل المشركين، فذمهم عز وجل بها.

الحجل : وهو نوع من المشي يفعل عند الفرح.

زفن الحبشة : نوع من المشي بتشبب، يفعل عند اللقاء بالحرب.

الرقص : هو اللعب الذي يليق بالاطفال.

وقد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال تعالى: «ولا تمش في الارض مرحاً» وذم المختال فقال: «انه لا يحب كل مختال فخور».

انشاد قصائد الزهد : إلا انهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية.

وكانوا يغنون في الاعراس وليس مما يطرب ولا كانت دفوفهم على ما يعرف اليوم.

(رأي الفقهاء في الغناء)

روي عن احمد بن حنبل أنه قال : الغناء ينبت النفاق في القلب، وقال : كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء، ومذهب مالك: انما يفعله الفساق، ونهى عن الغناء واستماعه، وقال: اذا اشترى جارية فوجدها مغنية، كان ردها بالعيب، وهو مذهب اهل المدينة.

ومذهب الاحناف : يكره الغناء، ويجعل سماع الغناء من الذنوب، وكذلك مذهب سائر اهل الكوفة. ومذهب الشافعي : الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته، وكذلك المغني والرقاص، وذلك من فعل الشيطان «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» قالوا هو الغناء، «وانتم سامدون» قالوا هو الغناء في لغة أهل اليمن، سمد لنا: غنى لنا «واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك» قالوا الغناء والمزامير.

هذا فيمن كانوا ينشدون الشعر، وسمي بذلك غناء، لنوع يثبت في الانشاد والترجيع، ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال في الزمان السليم، عند قلوب صافية، على هذه الاصوات المطربة، وانما ينبغي للمفتي أن يزن الاحوال، كما ينبغي ان يزن الزمان والسن والكلام، ثم يفتي على مقدار ذلك.

(سليمان بن عبد الملك والغناء)

كان سليمان بن عبد الملك في بادية له، فسمر ليلة على ظهر سطح، ثم تفرق عنه جلساؤه، فدعا بوضوء، فجاءت به جارية له، فبينما هي تصب عليه، إذا استمدها بيده، وأشار اليها، فإذا هي ساهية مصغية بسمعها، مائلة بجسدها كله الى صوت غناء تسمعه في ناحية العسكر، فأمرها فتنحت، واستمع هو الصوت، فإذا صوت رجل يغني، فانصت له حتى فهم ما يغني به من الشعر، ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ، فلما اصبح، أذن للناس إذناً عاماً.

فلما اخذوا مجالسهم، جرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه، ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه، فأفاضوا في التليين والتحليل والتسهيل.

فقال : هل بقي أحد يسمع منه؟ فقام رجل من القوم فقال: يا أمير المؤمنين عندي رجلان من أهل ايلة حاذقان، قال: وأين منزلك من العسكر؟ فأوحى الى الناحية التي كان الغناء منها، فقال سليمان: ابعث اليهما.. فوجد الرسول أحدهما، فأقبل به حتى ادخله على سليمان، فقال له : ما اسمك؟ قال: سمير، فسأله عن الغناء، كيف هو فيه، فقال: حاذق محكم – قال: ومتى عهدك به؟ قال: في ليلتي هذه الماضية، قال: وفي أي نواحي العسكر كنت؟ فذكر له الناحية التي سمع منها الصوت، قال: فما غنيت؟ فذكر الشعر الذي سمعه سليمان.

فأقبل سليمان فقال: هدر الجمل فضبعت الناقة، وهب التيس فشكرت الشاة، وهدل الحمام فزافت الحمامة، وغنى الرجل فطربت المرأة.

ثم أمر به فخصي.. وسأل عن الغناء أين أصله واكثر ما يكون، قالوا: بالمدينة، وهو في المخنثين، وهم الحذاق به والأئمة فيه فكتب الى عامله على المدينة، وهو ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أخص من قبلك من المخنثين المغنين(١).

فالغناء يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل – وبيان هذا ان الانسان اذا طرب فعل ما يستقبحه في حال صحته من غيره، من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودق الارض برجليه، إلى غير ذلك مما يفعله اصحاب العقول السخيفة، ويقارب فعله فعل الخمر في تغطية العقل، فينبغي ان يقع المنع منه.

هذا فعلهم في حق غناء لا يخرج عن الاعتدال، فكيف بغناء اهل هذا الزمان وزمورهم!!

---

(١) تلبيس ابليس ٢٢٦ .

(الغناء هذه الايام)

واما الاشعار التي ينشدها المغنون المتهيئون للغناء، يصفون فيها المستحسنات، والخمر والغزل والحب واللقاء، وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال، ويثير كامنها، من حب اللهو والفجور، وهو الغناء المعروف في هذا الزمان، وقد اخرجوا لها الحاناً مختلفة من المزامير والناي والكمان والعود، فهذا الغناء المعروف اليوم.

فمعلوم ان طباع الآدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت، فإذا ادعى السامع الشاب السليم البدن، الصحيح المزاج، ان رؤية المستحسنات وسماع الغناء لا يؤثر فيه كذبناه، ومن قال ان الغناء المطرب المحرك للطباع في العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندي ولا يلفت قلبي الى حب الدنيا الموصوفة فيه كذبناه، واقبح القبيح البهرجة والاختلاط، والتشبب بالخدود والأصداغ وحسن القد والقوام، وسائر اوصاف النساء، فالطبع يسبق الى مقصوده.

ولا يكتفون بالسماع، بل يضاف اليه النظر الى الوجوه الحسان، وربما زينت بالحلي والأصباغ، ولبست ما يشف ويصف، كاسيات عاريات، وهذه النهاية في متابعة الهوى، ومخادعة العقل، ومخالفة الشرع، وصلت الى كل بيت، من اذاعة مرئية ومسموعة، وهذه مهيجة الفتن.

وهل شيء يزري بالعقل والوقار، ويخرج عن الحلم والأدب، اقبح من ذي لحية يرقص؟ فكيف اذا كانت شيبة ترقص وتصفق على ايقاع الالحان، خصوصاً اذا كانت اصوات نسوان ومردان!!

لقد استفزهم الشيطان فرمى بهم الى اقصى المعاصي، فكل من فاته العلم تخبط، وكل من فاته العمل اشد تخبطاً، واني لأعجب من فعل الرجال، والقاء جلباب الحياء، وقبح الله من لايغار، واعجب من ذلك الساكت عن الانكار، ولكن الشريعة بردت في قلوب الرجال، بل وألفت قلوبهم الحرام، وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال، والحشر والصراط ثم هو الى احدى الدارين صائر، ان يعيش بين الهوى والمجون؟ أمن اجل هذا خلقنا، ام من اجل هذا نعيش؟ والله سبحانه وتعالى يقول: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» واذا قلت لأحدهم: كيف حالك قال: بخير وسرور، واي خير وسرور فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، والمنكرات والملاهي في البيوت

والاسواق، وهو بارد القلب ساكت، لا يشعر بهذا النقص العظيم؟ فكل مواطن يعيش في مجتمع يحمل جانباً من المسؤولية في وجود بعض الشرور الاجتماعية، ولا يقتصر ذلك على تدخله الايجابي، بل مسؤولية الفرد تمتد الى الحالة التي يترك فيها الشرور تنتشر، دون ان يحرك ساكنا، فاللامبالاة تتساوى في التجريم مع الفعل.

الباب الخامس
القراءة للتكسب

على حملة القرآن الكريم أن يترفعوا في اخلاقهم، ولا يجعلوا القرآن سبباً للتزود من متاع الدنيا، والتسول في المساجد، فالقرآن دستور يعمل به، فمن قرأ القرآن للدنيا يكون حافظاً لحروف القرآن مضيعاً لحدوده، اتخذ القرآن بضاعة، يفخر على الناس بالقرآن، ويحتج على من دونه بالحفظ، يعيب كل من لم يحفظ كحفظه، ومن علم انه يحفظ كحفظه طلب عيبه، متكبراً في جلسته، ليس للخشوع في قلبه موضع، لا يخشع عند استماع القرآن، ولا يأخذ نفسه بالفكر فيما يتلى، ان قصر رجل في حقه قال: أهل القرآن لا يقصر في حقوقهم، وأهل القرآن تقضى حوائجهم، يستقضي من الناس حق نفسه، ولا يستقضي من نفسه حق الله عليها، لا يبالي من أين اكتسب، من حرام أم من حلال، لا يتأدب بأدب القرآن، يأخذ نفسه برضا المخلوقين، ولا يبالي بسخط رب العالمين، يفرح بمدح الباطل، وأعماله أعمال أهل الجهل، إن ذكر عنده رجل من أهل القرآن بالصلاح كره ذلك، وإن ذكر عنده بمكروه سره ذلك، تتبع عيوب أهل القرآن ليضع منهم ويرفع من نفسه، قد فتنه العجب بحفظ القرآن والاشارة اليه بالاصابع، ففي الحديث الصحيح «إذا كان يوم القيامة نادى مناد : من عمل عملاً لغير الله فليطلب ثوابه ممن عمل له»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم : «اقرأوا القرآن وسلوا الله به، قبل ان يات قوم يقرأون القرآن فيسألون به الناس»(٢).

فمن قرأ القرآن يتآكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم، ليس عليه لحم، فليعتبر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه الا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»(٣)، وقوله : «من تعلم

(١) حديث حسن تخريج الترغيب ١/٧٥ والمشكاة ٥٢١٨ .
(٢) الاحاديث الصحيحة ٢٥٥٩ .
(٣) صحيح اقتضاء العلم ١٠٢ .

العلم ليباهي به العلماء، او يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله جهنم»(١). فنزه القرآن عن جعله وسيلة للوصول الى الاغراض الدنيوية، والمطامع المادية.

فمن كانت هذه اخلاقه، صار فتنة لكل مفتون فيقتدي به الجهال، فإذا عيب قال: فلان الحامل لكتاب الله فعل هذا، وما كرهته لأهل القرآن، أذكره ليكون الناظر لكتابنا ينصح نفسه، ويلزم نفسه الواجب، ولو صلح أهل القرآن، صلح الناس، وقال الحسن: ولو ان اهل العلم صانوا العلم، ووضعوه عند اهله، سادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه، لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على اهلها. فقراء القرآن ثلاثة رجال: فرجل قرأة فاتخذه بضاعة، ونقله من بلد الى بلد، ورجل أقام حروفه وضيع حدوده يقول: اني والله لا اسقط من القرآن حرفاً: كثر الله بهم القبور، وأخلى منهم الدور، فوالله لهم اشد كبرا من صاحب السرير على سريره، ومن صاحب المنبر على منبره، ورجل قرأه فأسهر ليله، وأظمأ نهاره، ومنع شهوته، فجثوا في برانسهم وركدوا في محاريبهم، بهم ينفي الله عنا العدو، وبهم يسقينا الله الغيث، وهذا الحزب من القراء أعز من الكبريت الاحمر «اخرجه الآجري ١٣٢».

والاخبار في هذا المعنى كثيرة، ومرادي من هذا نصيحة لأهل القرآن، لئلا يبطل سعيهم، اذا هم طلبوا به شرف الدنيا حرموا شرف الآخرة، اذ يتلون لأهل الدنيا طمعاً في دنياهم.

قال الشاعر :

وما هذه الاخلاق الا مظاهر   تترجم عما قد تكنّ السرائر

حدثنا قتيبة، حدثنا بن لهيعة عن المغيرة عن ابي قيس، مالك بن الحكم، عن عبد الرحمن بن غنم الاشعري، انه قدم مصر مع مروان بن الحكم، وكان يحدثهم أن عمر بن الخطاب، كتب الى أمراء الاجناد أن يبعثوا إليه قراءهم وأمراءهم، اذا بلغوا ذا المروة، أن يحشر أولهم على أخرهم، حتى يلظوا جميعاً، قال عبد الرحمن بن غنم: فلما بلغنا ذا المروة، مكثنا حتى اجتمعنا، فلما دخلنا، أخبر عمر بنا فأتيناه فقال: اكشفوا رؤوسكم! فكشفوا يومئذ، فمنا ذو الضفيرتين والغديرتين، ومنا ذو الجمة، والموفور والمحلوق فقال: أما والذي نفسي بيده، لو وجدتكم محلقين لفعلت بكم فعله سمع بكم الاجناد،

(١) صحيح اقتضاء العلم ومسند الامام احمد ٣/٤٥٦ .

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يخرج ناس من أمتى يقرأون القرآن، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأمارة ذلك أنهم محلقون، ثم أمر بنا ففرقنا في المدينة(١)، رحم الله عمر بن الخطاب ماكان يظن ان يحلق الرجل لحيته حتى امرهم بالكشف عن رؤوسهم، وعن سهل بن سعيد الانصاري قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقتري ويقري بعضنا بعضاً فقال: «الحمد لله، كتاب الله واحد، فيكم الأخيار، فيكم الاحمر والاسود، اقرأوا، قبل ان يجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح، لايجاوز تراقيهم يتعجلون اجرة ولا يأجلونه»(٢). اي يطلبون بقراءته العاجلة من عرض الدنيا والرفعة فيها فإن كان له شيء يأخذه على ذلك، فلا يأخذه بنية الاجارة، ويستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير، بل بنية الاعانة على ماهو بصدده، ويقول مع المعرفة: أنا عبد الله أخدمه، وآكل وأشرب وألبس من رزقه، وخدمتي له حق علي، ورزقه لي محض فضل منه، واذا كانت هذه نيته، فلا يتضجر، ولا يترك القراءة لقطع المعلوم، فإن تركها لقطعة فهو دليل على فساد نيته، وهذا يجري في كل من يأخذ شيئا على وظيفة شرعية، كالإمام ومدرس القرآن.

ولا يجوز لاحد أن يتصدر للإقراء حتى يتقن عقائده ويتعلمها على اكمل وجه، ويتعلم من الفقه ما يصلح به امر دينه، وما يحتاج اليه من معاملاته، واهم شيء عليه بعد ذلك ان يعلم من النحو والصرف، جملة كافية يستعين بها على توجيه القراءات، ويتعلم من التفسير والغريب ما يستعين به على فهم القرآن، ولاتكون همته دنيئة فيقتصر على سماع لفظ القرآن، دون فهم معانية، وهذا – اعني علم العربية – احد العلوم السبعة التي هي وسائل لعلم القراءات، الثاني: التجويد، وهو معرفة مخارج الحروف وصفاتها – الثالث : الرسم – الرابع: الوقف والابتداء – الخامس: الفواصل، وهو فن عدد الآيات، السادس: الاسانيد، وهو الطرق الموصلة الى القرآن، وهو من اعظم ما يحتاج اليه، لأن القرآن نقل محض، فلا بد من اثباته وتواتره، ولا طريق الى ذلك الا بهذا الفن، السابع: علم الابتداء والختم، وما من علم من هذه العلوم الا وألفت فيه دواوين.

---

(١) فضائل القرآن للفريابي ١٨٨ .

(٢) اخرجه ابو داود ١/٢٢٠ .

الإجـــازة

الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدي للاقراء والإفادة، فمن علم من نفسه الاهليـة، جـاز له ذلك وإن لم يجـزه أحد، وانمـا اصطلح الناس على الاجـازة، لأن أهليـة الشـخص لا يعلمها غـالباً من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم، لقصور مقامهم عن ذلك.

والبحث عن الأهلية قبل الأخذ شرط، فجعلت الاجـازة كالشـهادة من الشيخ للمجـاز بالأهلية.

وأمـا مـا اعتـاده كثير من مشـايخ القراء من امتناعهم عن الاجازة إلا بأخذ مـال في مقابلها، فـلا يجوز اجمـاعاً، بل إن علم اهليته وجب عليه الاجـازة، هذا بخلاف من يعقد معه قبل التعليم، فحكمها:

١ – للحسبة، ولا يأخذ عوضـاً، فهو مـأجور، وعليه عمل الانبياء.

٢ – أن يعلم بالأجر – فهو مختلف فيه – والارجح الجواز.

٣ – أن يعلم بغير شـرط، فإذا اهدى اليه قبل، فهذا يجوز اجمـاعاً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معلماً للخلق، وكان يقبل الهدية.

وعلى المعلم ان يكون دقيقاً ناصحاً في تعليمه، كان محمد بن احمد بن بضحان بن عين الدولة شيخ مشـايخ الاقراء بالشام، يجلس للاقراء وهو في غاية التصميم، لايتكلم ولا يلتـفت، ولا يبصق ولا يتنحنح، وكذلك من عنده، ويجلس القـاريء عليه، وهو يشـير إليه بالاصـابع، لا يدعه يترك غنة ولا تشـديدا ولا غيره من دقائق التـجويد حتى يأخذه عليه ويرده اليه، وإذا نسـي احد وجهاً من وجوه القراءة، يضرب بيده على الحصـير، فإذا افـاق القاريء ورجع الى نفسه أمضاه له، ولا يزال يقول للقاريء: «مافرغت» حتى يعييه، فإذا عيي رد عليه الحرف، ثم يكتبه عليه. فإذا ختم وطلب الاجازة – سـأله عن تلك المواضـع التي نسـيها او غلط فيها في سائر الختمة، فإن اجاب عنها بالصـواب كتب له الاجازة، وإن نسي قال لـه: أعد الختمة – فـلا أجيزك على هذا الوجه، وهكذا كان دأبه على هذه الحـال، بحـيث انه لم يـأذن لأحد سـوى اثنين، وهمـا: السـيف الحـريري، وابن نحلة، حسب لا غير، في جميع عمره، مع كثرة من قرأ عليه وقصده من الآفاق(١).

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٥٨ .

قال عمر بن عراك : سمعت حمدان بن هون يقول: قرأت على ابن هلال ثلاثمائة ختمة، ثم أتى بي الى اسماعيل النحاس، فقال: هذا تلميذي، وقد قرأ عليّ وجود، فخذ عليه، فأخذ علي، وقرأت عليه ختمتين، يعني جود فيهما وحقق[١].

فلا يجيز المقرىء القارىء الا بعد أن يتأكد من إتقانه وإحكامه، ولو ختم عليه مرات عديدة، ذكر ان الشيخ احمد بن احمد بن ابراهيم ابو جعفر الهاشمي، قرأ عليه ابو جعفر بن الزبير رواية ورش عدة ختمات، قال: ولم يجزني وقرأ عليه بعض اترابي وأجاز له[٢].

اما إن علم انه أهل للاجازة فعليه الاجازة.

حكى لنا شيخنا الصائغ قال: لما وصلت في القرآن على شيخنا ابن ناشرة الى سورة الفجر، منعني من الختم، كأنه استصغرني على الاجازة، قال: فشق ذلك علي، وجئت الى شيخنا الكمال الضرير، فعرفته، فقال: اذا كان الغد وجلس الشيخ، خذ بيدي اليه، قال: فلما أصبحنا وجاء الشيخ، أتيت الكمال الضرير، فأخذت بيده من موضعه الى عند ابن ناشرة، فتحادثا ساعة ثم قال: لم تدع هذا يختم؟ فقال ياسيدي، الناس كثير، وهذا صغير، والله يعلم متى ينقرض هؤلاء الذين قرأوا علينا، قال: فأمسك الشيخ الكمال بفخذيه وقال: اسمع، نحن نجيز من دب ودرج عسى أن ينبل منهم شخص ينفع الناس ونذكر به، وما يدريك ان يكون هذا؟ وأشار إلي قال: فو الله لقد كانت مكاشفة من الشيخ كمال الدين، فإنه لم يبق على وجه الارض من اولئك الخلائق من يروي عنهم غيري، (مات سنة احدى وستين وستمائة)[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف».

روى المدائني انه قال : لم يمنعني من ان اقرأ على أبي طاهر، الا أنه كان قطيعاً، وكان يجلس للاقراء وبين يديه مفاتيح، فكان ربما يضرب بها رأس القارىء اذا لحن، فخفت ذلك، فلم أقرأ عليه، وسمعت منه كتبه[٤].

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٦٠ توفي سنة اربعين وثلاثمائة.

(٢) طبقات القراء ١/٣٧ .

(٣) طبقات القراء ١/٣٨٠ .

(٤) طبقات القراء ١/٢٤٦ .

الفصل السادس

الباب الاول : سمات العلماء العاملين.

اخلاق العالم تجاه ربه ونفسه واهله.

اخلاق العالم تجاه طلابه.

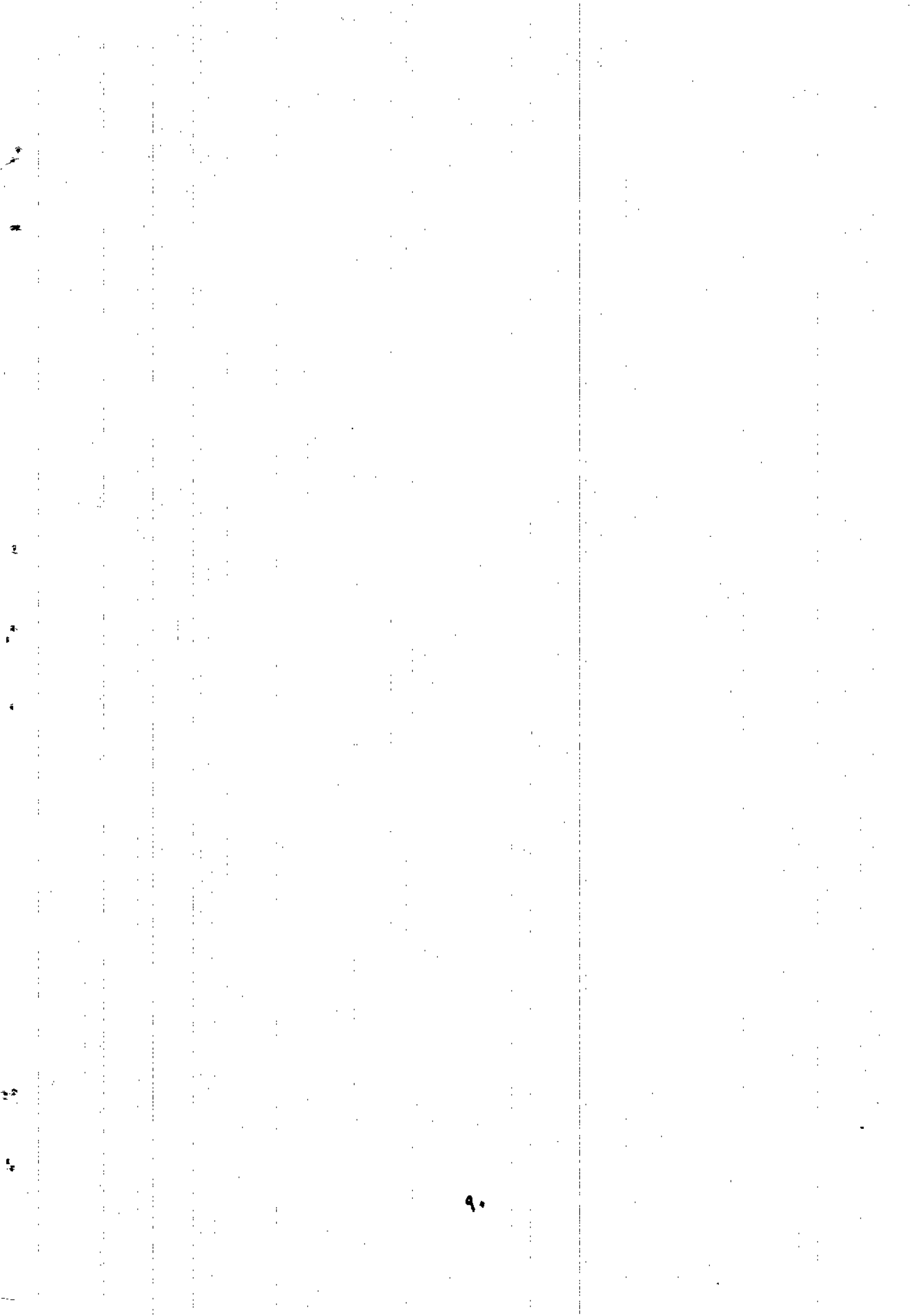
الباب الثاني : اخلاقيات المتعلم تجاه معلمه.

اخلاقيات المتعلم تجاه زملائه.

اخلاقيات المتعلم تجاه ربه ونفسه.

رياضة الصبيان وتحسين اخلاقهم.

الباب الثالث : من حسن آداب القراء.



الباب الأول
(سمات العلماء العاملين)

القراءة فن كفن البناء للبناة المهرة، وفن الصناعة للصناع الحذقة، وعلم كعلم الهندسة، فكان لزاماً على القراء أن يحملوا هموم هذا العلم، ويجيدوا تعليمه، وايصاله للناس، فلابد لهم ان يدرسوا ويتعلموا احدث الاساليب العلمية في توصيل هذه المادة العلمية، وان يتقوا الله في الميثاق الذي حملوه من معلم الخير، فإنهم ورثة الأنبياء، وهم أهل الأمانة الملقاة على عواتقهم، فإذا علم ذلك، فليحذر المعلم ان يرتكب خطأ، فإن خطأ العالم يؤثر في الأمة، بسبب انهم هم رواد السفينة، التي اذا قادوها الى بر الأمان نجت بإذن الله، فعليه ان يسدد ويقارب، وان يعلم ان خطأه يتضخم، والخطأ منه كبير، فقد اصبح أمام الناس كالمرآة، كلما وقعت فيها نقطة سوداء صغيرة كبرت، فيكون بذلك سبباً لهلاك الكثير، وقديماً قيل: زلّةُ العالم زلّةُ عالم.

ويجدر به أن يكون حريصا على اوقاته في حلة وترحاله، ولا يتشاغل بالدنيا تشاغلاً يعميه عن طريقه، والعمل مطلوب، فيتكسب بعمل يده، كما فعل عثمان وابن عوف وغيرهما من الصحابة الاطهار، فلا يشغله العمل عن الوفاء بوعده.

فعليه ان يتعهد نشر العلم، شعاره قول الشافعي رحمه الله «وددت لو ان الخلق تعلموا هذا لعلم، على ان لا ينسب لي حرف منه» وان يكرس جهده ويبذل طاقته، ويخلص عمله لله.

فمن أسر عملاً صالحاً لم يطلع عليه الا الله، فقد أصاب مواضعه وأبلغه قراره، واطلع عليه من هو حسبه.

وأن يعد نفسه خاطئاً مذنباً مع شدة الاجتهاد والخوف من الله من أن يكون قصر في القيام بالواجبات، ويدرك ان الله هو الذي وهبه العلم، فمن اعطي خيراً فالله اعطاه، ومن وقي شراً فالله وقاه، ولا تظنن أن العلانية هي انجح من السريرة، فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة، ولا تنفع العلانية مع السريرة الفاسدة.

وأن يجاهد الآفات النفسية، كالعجب والغرور والكبر، لأنها من الآفات المثبطة عن الوفاء بأعباء المهنة، وان يتصف بالعفو والعزة والتقوى، قال صلى الله عليه وسلم: «ما تواضع رجل لله الا رفعه الله تعالى» اخرجه مسلم، وقال تعالى: «ولو كنت فظاً غليظ

القلب لانفضوا من حولك»، فالتواضع ينبت جذور المحبة، ويزيل الوحشة، ويكسب المعلم اجلالاً واحتراماً، وأن يتسم بحسن الحديث ولين الكلام، ان أهل القرآن اكثرهم لك عوناً، اذا نسيت ذكروك، واذا ذكرت اعانوك، قوالون بحق الله، قوامون بأمر الله، نظروا الى الله والى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم.

«اتقوا الله ويعلمكم الله» يتقي الله في مأكله وملبسه ومشربه «ومن يتق الله يجعل له مخرجا» فإن لأهل التقوى علامات يعرفونها من أنفسهم – صدق الحديث، واداء الامانة، وكظم الغيظ، والصبر على البلاء والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء والذل لحكم القرآن سلاحه كتبه وروضته مكتبته، ففيها يرتع فكره، ويسعد قلبه.

همته ايقاع الفهم لما ألزمه الله من اتباع ما أمر، والانتهاء عما نهى، وينشر العلم حتى لا ينتشر الجهل بين الناس والاخلاق الذميمة، والجرائم والانانية والبغضاء، والتأخر العلمي والاقتصادي، والضرر الذي يلحق بالمجتمع.

فحامل القرآن حامل راية الاسلام، لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيماً لحق القرآن.

ملتزماً بالواجبات الشرعية ازاء مجتمعه، خاصة فيما يتعلق ببر الوالدين، وصلة الارحام، وحسن الظن في سائر الأنام، وعدم الوقوع في اعراض الناس.

فأحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الجاهلين، وشمر الساق فإن الدنيا ميدان مسابقة، والغاية الجنة او النار، والعلماء العاملون أرأف بأمة محمد من آبائهم وأمهاتهم، وأشفق عليهم، لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة، والعالم شديد البغض لمن عصى الله، يجيب السفيه بالصمت عنه، والعالم بالقبول منه، لا مداهن ولا مشاحن، ولا مختال ولا حسود ولا حقود ولا سفيه، ولا جاف ولا فظ ولا غليظ، ولا طعان، ولا لعان ولا مغتاب ولا سباب، لسان حاله يقول: خذوا دنياكم واتركوني اناجي خالقي حراً بقلب صاف.. لا يعيش في المثاليات، فقد ذهب الله بالكمال، ولا نتصور ان من الناس ملائكة، ولا كالصحابة الأخيار، والانسان خلق من نقص، وهم مصدر النقص والتقصير، فيعين المقصر ويساعده، ولا يساعد الشيطان عليه.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلاً ان تعد معايبه

تريد مهذباً لا عيب فيه ... وهل عود يفوح بلا دخان

قال الامام علي رضي الله عنه : الحكيم من لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يورطهم في معصية الله، واسع الاطلاع والثقافة والإلمام بالاحداث التي تدور في زمانه، مطلع على الثقافات بحيطة وحذر.

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

لا يجلب المنافع بالاساليب الملتوية، فإن داعي الله لا يجهل، وان بعض الطمع فقر، وان بعض اليأس غنى، فأرموا بالدنيا حيث رمى بها الله، فمن احب ان يكون اغنى الناس، فليكن بما في يد الله اوثق مما في يده.

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: ان من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار.

وعن الفضل بن عباس قال : حامل القرآن حامل راية الاسلام، لا ينبغي ان يلهوا مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيماً لحق القرآن، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم، فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات، لا تكونوا عيالاً على الناس.

(اخلاق العالم تجاه ربه ونفسه وأهله)

العلماء ورثة الأنبياء، فهم شاكرون لله، ذاكرون له دائماً، مع شعورهم بحلاوة حب المذكور ولذة مناجاته، ونشر العلم عمل الانبياء والرسل.

فأول ما ينبغي على العالم أن يتوخى تقوى الله في السر والعلن، وان يقصد بذلك رضا الله تعالى، وأن يكون عالماً بأهل زمانه، متحفظاً من شيطانه، ساعيا في خلاص نفسه، مقبلاً على شأنه، مهموماً باصلاح ما فسد من أمره، حافظاً للسانه، مميزاً لكلامه، يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس يخلطون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخضوعه إذ الناس يختالون، وبجزعه إذ الناس يفرحون، قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه، باسط الوجه، طيب الكلام، لا يمدح نفسه بما فيه، لا يغتاب أحداً، ولا يحقر أحداً، ولا يسب أحداً، ولا يشمت بمصيبة، ولا يبغي على أحد، حافظاً لجوارحه، يكظم غيظه ليرضي ربه، ويغيظ عدوه، حريصاً على كثرة العبادة، وذكر الموت، والاستعداد ليوم المعاد، ينقطع قلبه عند ذكر الموت، وتسكن جوارحه خشية لله، اذا قيل له الحق قبله من صغير او كبير.

فالعمل لا يستطاع الا باليقين، ومن يضعف يقينه يضعف عمله، فينبغي ان يكون لله حامداً، ولنعمه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه متوكلاً، وبه مستعيناً، واليه راغباً، وبه معتصماً، يطلب الرفعة من الله لا من المخلوقين، ماقتا للكبر خائفاً على نفسه منه، لا يتآكل بالقرآن ولا يحب ان تقضى له به الحوائج، ولا يسعى به الى الجاه.

إن وسع عليه وسع، يقنع بالقليل، ويحذر على نفسه من الدنيا، ملتزماً بالقناعة والرضا بالقليل، والاكتساب من الحلال، والاستغناء بالقرآن، وارجاع مقاليد الأمور الى الله، فالقلوب ميتة في الصدور حتى يحييها الله بالعلم، فمن علم شيئاً فلينتفع به، يبكي من خشية الله، ليس شيء من الاعمال إلا له وزن إلا البكاء من خشية الله، فإن الله لا يقوم بالدمعة شيئاً، يلتزم بسنن الفطرة، والحلم والصبر، وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار، يصل الرحم، ويكره القطيعة، من قطعه لم يقطعه، ومن عصى الله فيه اطاع الله فيه، ومن صحبه نفعه، حسن المجالسة لمن جالس، إن علم غيره رفق به، لا يعنف من أخطأ ولا يخجله، صبور على تعليم الخير، قد أدبه القرآن والسنة، يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه، واسع الاطلاع والثقافة، ملماً بما يدور حوله، والناس في العافية سواء، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال، وسكن المؤمن الى ايمانه، والمنافق الى نفاقه، مشتغلا بالتفكير والتدبر والاعتبار والهم، والاشتغال بما اوجب الله عليه، عالما بداء نفسه متهماً لها في كل حين، اذا ذكر نفسه افتقر، واذا ذكر ذنبه استغفر، واذا ذكر الدنيا اعتبر، واذا ذكر الآخرة استبشر، واذا ذكر المولى اقشعر، وان يتصف بالكرم والابتعاد عن الشح والبخل، فالسخاء محمدة، والبخل مذمة.

قال الآجري: ليس همته : متى اختم السورة، همته : متى استغني بالله عن غيره، متى اكون من المتقين، متى اكون من المحسنين، متى أكون من المتوكلين، متى اكون من الخاشعين، متى أكون من الصابرين، متى اكون من الصادقين، متى اكون من الخائفين، متى اكون من الراجين، متى أزهد في الدنيا، متى ارغب في الآخرة، متى اتوب من الذنوب، متى اعرف النعم المتواترة، متى اشكر عليها، متى اعقل عن الله الخطاب، متى أفقه ما أتلو، متى أغلب نفسي على ما تهوى، متى اجاهد في الله حق الجهاد، متى احفظ لساني، متى اغض طرفي، متى احفظ فرجي، متى استحيي من الله حق الحياء، متى اشتغل بعيبي، متى اصلح ما فسد من أمري، متى أحاسب نفسي،

متى أتزود ليوم معادي، متى اكون عن الله راضياً، متى اكون بالله واثقاً، متى اكون بزجر القرآن متعظاً، متى اكون بذكره عن ذكر غيره مشتغلاً، متى أحب ما أحب، ومتى أبغض ما أبغض، متى أنصح لله، متى أخلص له عملي، متى أقصر أملي، متى أتأهب ليوم موتي وقد غيب عني أجلي، متى أعمر قبري، متى أفكر في الموت وشدته، متى افكر في خلوتي مع ربي، متى أفكر في المنقلب، متى احذر مما حذرني منه ربي، من نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وعمقها طويل، لا يموت أهلها فيستريحون، ولاتقال عثرتهم، ولا ترحم عبرتهم، طعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم، كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، ندموا حيث لا ينفعهم الندم، وعضوا على الأيدي أسفاً على تقصيرهم في طاعة الله، وركوبهم لمعاصي الله، وقال منهم قائل «ياليتني قدمت لحياتي»، وقال قائل: «رب ارجعون، لعلي أعمل صالحاً فيما تركت»، وقال قائل: «ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها «وقال قائل» ياليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً» وقالت فرقة منهم ووجوههم تتقلب في انواع من العذاب: «ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا»(١).

فهذه النار يا معشر المسلمين، ياحملة القرآن، حذرها الله المؤمنين في غير موضع من كتابه، ثم حذر المؤمنين ان يغفلوا عما فرض عليهم وما عهد به اليهم، فالمؤمن العاقل اذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح، فمن كانت هذه صفته، فقد تلاه حق تلاوته، ورعاه حق رعايته، وكان له القرآن شاهداً وشفيعاً، وأنيساً وحرزاً، فنفع نفسه ونفع أهله، ولا نعلم ان الله عز وجل أعطى أحداً من البشر موثقاً من الغلط، وأماناً من الخطأ، سوى نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا نعلمه خص بالعلم قوماً دون قوم، ولا وقفه على زمان دون زمان، بل يفتح للآخر ما اغلقه على الاول، ويجيده بمتأخر يتعقب قول متقدم، واوجب على كل من تعلم شيئاً من الحق ان يظهره وينشره، وجعل ذلك زكاة العلم، فالعبد اذا أقبل على الله بقلبه اقبل الله بقلوب المؤمنين عليه.

---

(١) كتاب اخلاق اهل القرآن – محمد بن الحسين الآجري ٧٩ – ٨٠ .

(اخلاق العالم تجاه طلابه)

ينبغي لمن علّمه الله كتابه فأحب ان يعلّم، لقوله صلى الله عليه وسلم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ينبغي له ان يستعمل من الاخلاق الشريفة ما يدل على فضله وصدقه، ويتواضع في مجلسه، ولا يتعاظم في نفسه، وان يستقبل القبلة في مجلسه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل المجالس ما استقبل به القبلة» ويقبل على المتعلم اقبالا جميلاً بوجه متهلل وصدر رحب، ويحسن الاستماع لمن يقرأ عليه: «واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون» فالانصات يؤدي الى الفهم، والفهم يؤدي الى الاقناع والايمان وتدبر القرآن، ولا يقطع القراءة الا لحاجة بدت له أثناء القراءة، ولا يشتغل عنه بحديث.

ومن لوازم العالم ايضاً الرفق والبشاشة وقلة الضحك لئلا ينفر الطلاب عنه ويكسبهم كراهية العلم، وطلاقة الوجه من غير خروج الى الخفة، واجتناب الضحك والمزاح الثقيل، ولا يتعرض لا ستجلاب بواطن طلابه محبة للاستتباع، وكم من مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اغتر بطيبته واسترسل في الممازحة والمخالطة، فيقصده من ليس قصده الدين، فافتتن وافتتن.

والرفق والرحمة، فإن رسالته تتعدى الجانب العلمي الى الجوانب الروحية والمادية والخلقية، فإنه من أمة هينين لينين أيسار بني أيسار، ليني الخطاب، لا يظهرون التزمت ولا الغضب ولا الفظاظة، ولا يأخذون الناس أخذ الجبابرة، فإنهم حكماء أتوا للرحمة «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين».

أدب التدريج : ان يراعي الفوارق والحاجات، والميول والقدرات الفكرية والذهنية، فيوفي كل ذي حق حقه، ويأخذ بيد الضعيف، ويراعي اساليب التدريس والاختلافات المتباينة في مستويات الذكاء، والقدرات والمواهب والاستعدادت العقلية، قال صلى الله عليه وسلم : «نحن – معاشر الأنبياء – أمرنا ان ننزل الناس منازلهم، ونكلمهم على قدر عقولهم» والله فضل الخلق، ورفع بعضهم فوق بعض في الرزق والعلم والفهم والفضل، والعالم الكامل لا يعالج كل مريض، بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجة والصلاح ويكون الفقير والغني عنده سواء «علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف» فيجتنب ايقاع العقوبات والاهانات، ولا يعنف ولا يوبخ ولا يشعر الطلاب بالمهانة، ولا يفقدهم الثقة بأنفسهم، فالتعنيف يعلم الطلاب المكر والخديعة، ويكفي الامتعاض او

السكوت، وقطع الكلام قليلاً على قدر الاساءة، كمن يكظم غيظة ويتجرع الأسى، لقوله صلى الله عليه وسلم: «علموا ويسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، واذا غضب احدكم فليسكت»(١)، وأن يربأ بنفسه عن استغلال الطالب لأغراضه الخاصة، ويتنزه عن ماله وخدمته، ليكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى، وإشراك المعلم تلاميذه في التدريس، ووضع المكافآت وتجديد الاسلوب في عصر جددت فيه اساليب الباطل، والقول كالبذر، فإذا كان البذر فاسداً لا ينبت، وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها.

وقال صلى الله عليه وسلم : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» رواه أحمد ١٣١/٣ والبخاري ومسلم، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون، وليتواضع لكم من تعلمون، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم، وقال محمد بن الحسين: فمن كانت هذه أخلاقه فقد انتفع به من يقرأ عليه، أقول: انه ينبغي على من كان يقرأ القرآن لله، ان يصون نفسه عن استقصاء الحوائج ممن يقرأ عليه القرآن، وان لا يستخدمه ولا يكلفه حاجة يقوم بها.

وأختار له «العالم» اذا عرضت له حاجة ان لا يكلفها لمن يقرأ عليه، وأحب له ان يصون القرآن عن ان تقضى له به الحوائج، فإن عرضت له حاجة، سأل مولاه الكريم قضاءها، فإذا ابتدأه أحد من اخوانه من غير مسألة منه فقضاها شكر الله اذ صانه عن المسألة والتذلل لأهل الدنيا إذ سهل له قضاءها، ثم يشكر الله أن أجرى له ذلك على يديه، فإن هذا واجب عليه.

وحدثنا ابو الفضل قال : حدثنا اسحاق بن الجراح قال، قال خلف بن تميم: مات ابي وعليه دين، فأتيت حمزة الزيات فسألته ان يكلم صاحب الدين أن يضع عن أبي من دينه شيئاً، فقال لي حمزة : ويحك إنه يقرأ عليّ القرآن، وانا اكره أن أشرب من بيت من يقرأ عليّ القرآن(٢).

فالفائدة من تجارب الآخرين

قال الشاعر :

الم تر ان العقل زين لأهله وأن تمام العقل طول التجارب

---

(١) الصحيحة ١٣٧٥ .

(٢) اخلاق اهل القرآن - الآجري ١٢٢ - ١٢٣ .

الباب الثاني
(اخلاقيات المتعلم تجاه معلمه)

من كان يقرأ على غيره فينبغي له ان يحسن الأدب في جلوسه بين يديه، ويتواضع في جلوسه، مهما كانت منزلته العلمية او الاجتماعية. ولو كان المعلم اصغر منه سناً. وأقل شهرة ونسباً وصلاحاً، فيتواضع للعلم وينقاد للمعلم. ولا ينبغي له أن يضجر معلمه فيزهد فيه، ويلزم نفسه واجب حقه، فإن الله عز وجل قد أمر ان نعرف حق العالم، وأمر بطاعة العلماء، وكذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم. روى الامام احمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ولا يرحم صغيرنا ويعرف لعلمائنا» قال احمد: يعني يعرف حقهم.

وقال تعالى: « وأطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم» قال الفقهاء والعلماء. من قنع بتدريس وتعليم معلم ولم يجاوزه، فبالحري ان يواظب عليه، واحب ذلك منه، واذا رآه قد التقن ما لم يلقنه، زهد في تلقينه وثقل عليه، ولم يحمد عواقبه، فينبغي ان يقبل على من يلقنه، ويأخذ عليه، ولا يقبل على غيره، فإذا شغل عنه بكلام قطع القراءة حتى يعود الى الاستماع اليه.

ولا يقصد بدراسته توصلا الى غرض من اغراض الدنيا من مال أو رياسة او ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس.

وان يحتفظ في نقله من معلمه، ولا ينسب اليه مالم يقل، وان لا يدخل بلا استئذان، وان يسلم على الحاضرين، ويخصه دونهم بالتحية، ولا يقيم احدا من موضعه، ولا يجلس بين صاحبين الا بإذن، ويتواضع لله ولمعلمه ولمن يطلب معه.

وان يحسن الاستماع والنقاش في حضرته، ولايشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة ،وإن علم خطأه، وان يكون ممن يؤمن شره، ويرجى خيره، ويسلم من ضره، وان لا يسمع ممن نم عليه، ولا يرفع صوته من غير حاجة، ولا يعبث بيده، ولا يلتفت يمينا ولا شمالا من غير حاجة، متوجها للشيخ مصغيا الى كلامه.

وان يقدر جهوده ولا يسأل عن مالا يعنيه، واذا سأل فبخضوع، ولا يشعره انه اعلم منه، بل يبدي الاستفادة، وانه دائما له بحاجة، مع شكره اذا استفاد علما في مسألة، وتكون همته البحث لطلب الفائدة، وان لا يكون فضوليا، وان يدع الجدل والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والادب، ولا يقولن: قال فلان خلاف ما تقول، ولا يغتابن عنده أحدا، ولا يشاور جليسه في مجلسه، ولا يلح عليه اذا كسل.

وان لا يسخط على معلمه، وان غضب عليه، ويقدم له الاعتذار، وان يحتفظ من التكبر والاعجاب، وان يصبر على جفائه وسوء أدبه، فالانسان معرض للنقائص، وان ترد غيبته وانت موجود ان قدرت، فإن تعذر فارق ذلك المجلس، فمن لم يصبر على ذل التعليم بقي في عماية الجهالة، وان يحب لشيخه كل منزلة عالية، ويتمنى له كل عزيز، فالوقار اذا سكن القلب عقل اللسان ما يقول. ولا تغلظ له الكلام، ولا تناده باسمه، فإذا سكن القلب الوقار علم كيفية الخطاب. وان يختار المعلم المناسب، ويثق بعلمه، ولا يتعلم الا ممن تكملت اهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته، واشتهرت صيانته.

واعلم ان العلم دين، فانظر عمن تأخذ دينك.

وان يكون حريصا على التعلم مواظبا عليه، ولا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير، ولا يحمل نفسه مالا يطيق، مخافة الملل، وان يأخذ نفسه بالاجتهاد في التحصيل وقت الفراغ والنشاط.

وقيل: العلم يحتاج الى همم الرجال، وجلادة الابطال، وطول السعي بصبر دؤوب، وقلب عاشق. فكل أمر عظيم وخطب جسيم لا بد ان يكون طريقة وعرا وشاقا. قال الشافعي:

	بقدر الكد تكتسب المعالي	ومن طلب العلا سهر الليالي
وقال:	من طلب العلوم بغير كـــد	سيدركها متى شاب الغراب
وقال:	اصبر على مر الجفا من معلم	فإن رسوب العلم في نفراتـــه
وقال:	أخي لن تنال العلم الا بستة	سأنبيك عن تفصيلها ببيـان
	ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة	وصحبة استاذ وطول زمـــان

فالمدرس هو الركن الركين والاساس المتين الذي لا غنى عنه في التعليم، فهو الاسوة والقدوة والمثل الاعلى. وقد قيل: من لا شيخ له لا علم له. وهل الرسل الكرام الا معلمون للأمم؟ فهو الفارس الذي يغرس في الأمة سمو الخلق وحسن التربية ونور العلم والمعرفة. فخذ من علمه وتزود ولا تنظر الى عمله.

خذ من علومي ولا تنظر الى عملي ـــ واجن الثمار وخل العود للنار

واعلم ان المكارم منوطة بالمكاره، والسعادة لا يعبر اليها الا على جسر المشقة، فلا تقطع مسافتها الا في سفينة الجد والاجتهاد، ولولا جهل الاكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها لتجالدوا عليها بالسيوف.

وقد أحسن من قال:

إن المعلم والطبيب كلاهمـــا لا ينصحان اذا هما لم يكرمـا
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واصبر لجهلك إن جفوت معلما

(أخلاق المتعلم تجاه زملائه)

المؤمن كثير بأخيه، ويقع بالصحبة والتعاون: «وتعاونوا على البر والتقوى» وقال تعالى: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر». وقال تعالى: «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين» وفي الحديث القدسي «حلت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتصادقين في» وقال عمر «اذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به، فقلما يصيب ذلك».

فكن يقظا مرتادا لنفسك إخوانا. إن أحبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون، فالمتحابون في الله يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون.

ثم ان اختيار الصحبة عمل، وكل عمل يحتاج الى نية، وقال صلى الله عليه وسلم «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله: امام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد، اذا خرج منه حتى يعود اليه، ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني اخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» رواه مسلم. فاذا أحببت أخاك، فلا تماره ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه، وإن لم تبره فلا تؤذه، ولا تذكر أخاك الا بخير، اذا دنا رحبت به، واذا حدث اقبلت عليه، واذا جلس اوسعت له. وإياك والمزاح، فإنه يورث الضغينة ويجر الى القبح. تحدثوا بالقرآن، وتجالسوا به، فالمزاح ازاح صاحبه عن الحق، والسخرية والاستهزاء مؤذية ومحرقة، وإفشاء السر منهي عنه، لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء، فالحديث بينكم أمانة، والغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد، فأخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين، والجسد قد يكون مع الصديق المحسن والرفيق الموفق.

وقال السلف: استكثروا من الاخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك. وقال الامام علي كرم الله وجهه:

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه فكم من جاهل أردى حكيما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ما شاه وللشيء من الشيء مقاييس واشباه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وقال سعيد بن المسيب: عليك بإخوان الصدق تعش في اكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين الا من خشي الله، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

وقال بعض العلماء: لا تصحب الا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئا في أمر دينك فينفعك، او رجل تعلمه شيئا في امر فيقبل منك.

قال صلى الله عليه وسلم «اذا احب احدكم أخاه فليخبره» اخرجه داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وانما أمر – صلى الله عليه وسلم – بالاخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة، فإذا عرفت انه ايضا يحبك زاد حبك لا محالة، فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف، والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع، ومن ذلك ان يدعوه بأحب اسمائه اليه في غيبته وحضوره، ويدعو له في ظهر الغيب، ويترك التكلف، وان يلقاه بوجه الرضا، وتوقير من غير كبر، وتواضع في غير ذل. وان يدع المجادلة والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والادب، فإن الانسان لا يشرف الا بما يعرف، ولا يفضل الا بما يعقل، ولا ينجب الا بمن يصحب. ويخالق بالجميل من لا يأمن من شره إبقاء على دينه. ومن المعروف ان المجالس مجانس، والصاحب ساحب، والجليس يورث جليسه اخلاقا من اخلاقه، ولا يحسد احدا من رفقته على فضيلة رزقه الله اياها، وان لا يعجب بنفسه بما خصه الله، وإن ما حصله انما هو بحول الله وفضله واودعه الله فيه. واعلم ان طالب الآلىء لا يحصل عليها الا اذا غاص في الماء، ونزل الى قرار البحار، وكذلك طالب العلم، لا يصل اليه ولا يحصل عليه الا اذا تعب وجد واستسهل الصعب، وسهر الليالي واستقام، وصاحب خيار الاخوان، واستعان بالله وبالصالحين منهم، وجعل ذلك لله، وابتغاء مرضاته.

(اخلاقيات المتعلم تجاه ربه وعلمه ونفسه)

ينبغي للمتعلم ان يطلب العلم رغبة في رضا الله «مخلصين له الدين» لتحقيق عبادة الله، على الوجه الذي يرضي الله تعالى. وهو الهدف الاسمى. قال صلى الله عليه وسلم «من سلك طريقا يلتمس فيها علما سهل الله له طريقا الى الجنة» رواه الترمذي.

وان يبتعد عن المفاسد الخلقية والمباهاة والمفاخرة، وان يتحلى بحسن الاصغاء والصمت والوقار، فمن جالس العلماء تواضع لهم، وان يلتزم بالتدبر والتفكر والاتعاظ عند مذاكرته وقراءته للقرآن، فإنما العلم بالتعلم.

وان يلتزم بالطهارة البدنية والنفسية، وان يبتعد عن الآفات السلبية، كالعجب والكبر والغرور، ويكون همه الاتعاظ والتفكر والتدبر، (ومتى اعقل عن الله الخطاب، ومتى ازدجر، ومتى اعتبر).

ان يساهم في نشر العلم وتبليغه وتعليمه للناس بعد تعلمه «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» بقدر قدراته واستعداداته وامكانياته. فنشر العلم من صفات العلماء ، وعمل الانبياء، ووسيلة لكسب الحسنات. لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية، او علم ينتفع به، او ولد صالح يدعو له».اخرجه مسلم.

وقوله «بلغوا عني ولو آية» وان يبتعد عن التقليد الاعمى، ولا يتقمص شخصية غيره، ولا يذوب في شخصيته، حيث نجد بعض القراء اذا احب قارئا قلده في كل شيء، في صوته ومشيته، وحتى في حركاته، فكأنما ذاب في شخصيته، قال صلى الله عليه وسلم «لا يكن احدكم امعه..» فإن عليك ان تستقل بشخصيتك.

واعلم ان الله خلقك نسيجا وحدك، لك صورتك، لا يشابهك فيها أحد، واستعدادك ومواهبك، فانت تقرأ بصوتك، وتقدم امكاناتك. قالوا إن غرابا اراد ان يقلد الحمامة في مشيتها، فنسي مشيته وما استطاع ان يقلد مشية الحمامة. وكذلك القارئ الذي يريد ان يقلد آخر فيتعب، فلا هو أحسن صوت ذاك، ولا هو اسمع صوته الذي منحه الله عز وجل. فهذا له اجتهاد وهذا له اجتهاد.

(رياضة الصبيان وتحسين اخلاقهم)

الصبي أمانة، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة سانجة، خالية من كل نقش، وهو قابل للتشكيل، فإن عود على الخير وعلمه، نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركة في ثوابه ابوه وكل معلم له ومؤدب، وان عود الشر وأهمل شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، قال تعالى: «يايها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا: «فيحفظه من قرناء

السوء، ولا يعوده التنعم، ولا يحبب اليه الزينة والرفاهية فيضيع عمره في طلبها. واذا رأى فيه مخايل التميز فينبغي ان يحسن مراقبته، واول ذلك ظهور الحياء، وهذه بشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب، فيستعان على تأديبه بحيائه، واول ما يغلب عليه شره الطعام، فينبغي ان يؤدب عليه، مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه، وان يسمي الله، وان يأكل مما يليه، وان لا يبادر الطعام قبل غيره، وان لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل، وان يجيد المضغ، ولا يلطخ ثوبه، وأن يقبح عنده الشره في الطعام، ويمدح عنده الصبي المتأدب قليل الطعام، وان يقبل بأي طعام مما تيسر، وان يحبب اليه الابيض من الثياب النظيفة.

ثم يشغل بتعلم القرآن والاحاديث وحكايات الابرار واحوالهم، لينغرس في نفسه حب الصالحين، ويتجنب الغناء والموسيقى، لانها تبذر في قلوب الصبيان بذر الفساد.

فإذا ظهر منه خلق جميل محمود، فينبغي ان يكرم عليه، ويجازي عليه بما يفرح به ويمدح امام اقرانه، فإن خالف ذلك في بعض الاحوال، ينبغي ان يتغافل عنه ولا يكاشف، لئلا يتجاسر على مثله ولا سيما اذا اجتهد في اخطائه، فإن عاد الى ذلك يعاتب سرا ويعظم الامر فيه، ولا يكثر عليه العتاب في كل حين فيهون عليه سماع الملامة، وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله في خفية، فإنه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح-ويعود الرياضة والحركة، ولا يبدي اطرافه، ويمنع من الافتخار على اقرانه، ويعود لين الكلام والتلطف معهم، ويمنع من أخذ أي شيء بداله، بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ، وان الاخذ لؤم وخسة، والطمع مهانة وذلة، ويعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يضع رجلا على رجل، ولا يضع يده على خده، ويعلم كيفية الجلوس، ويمنع كثرة الكلام، ويمنع من الحلف واليمين، صادقا او كاذبا، ويحترم الكبير، ويمنع من فحش الكلام واللعن والسب، حتى لا يسري الى القرناء. وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء، وينبغي اذا ادبه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب، بل يذكر ان ذلك طبع الرجال، وان الصراخ دأب النساء، وان يؤذن له باللعب ترويحا للنفس، فإن منعه من اللعب يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عيشه، حتى يطلب الحيلة في الخلاص اليه، وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومن هو اكبر منه. ولا يسامح في ترك الطهارة والصلاة، ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع.

ويخوف من السرقة وأكل الحرام والخيانة والكذب والفحش، ويعلم ان الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، وان الموت منتظر، والعاقل من تزود من الدنيا للآخرة، وليقل دائما: الله معي، الله ناظري، الله شاهدي، ثم يقال له: من كان الله معه وناظرا اليه، وشاهده ايعصيه؟ اياك والمعصية.

الباب الثالث

(من حسن آداب القراء)

«مقتطفات من اساليب تعليم القران»

عن عبد الوارث : حججت سنة من السنين مع أبي عمرو بن العلاء. وكان رفيقاً، فمررنا ببعض المنازل فقال : قم بنا، فمشيت معه فأقعدني عند ميل، وقال لي: لا تبرح حتى أجيك، وكان منزل قفر -لا ماء فيه- فاحتبس علي ساعة، فاغتممت فقمت أقفيه الأثر، فإذا هو في مكان لا ماء فيه، فإذا عين وهو يتوضأ للصلاة، فنظر إلي فقال: يا عبد الوارث اكتم علي، ولا تحدث بما رأيت أحدا. فقلت: نعم يا سيد القراء. قال عبد الوارث: فو الله ما حدثت به أحدا حتى مات (١).

قال الاصمعي: قال لي ابو عمرو: لو تهيأ لي أن أفرغ ما في صدري في صدرك لفعلت، لقد حفظت في علم القرآن اشياء لو كتبت ما قدر الاعمش على حملها. ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت كذا وكذا وكذا، وذكر حروفا. وقال عبيدة: كانت دفاتر أبي عمرو ملء بيت الى السقف، ثم تنسك فأحرقها وتفرغ للعبادة، وجعل على نفسه أن يختم في كل ثلاث.(٢).

قال ابو بكر محمد بن عبد الرحيم الأصبهاني: قرأت على ابي القاسم بن داود بن ابي طيبة بالفسطاط في داره وفي غير داره، الا في المسجد الجامع، فإنه لم يكن يقرئ في الجامع. قرأت عليه من أول القرآن الى سورة المرسلات أو عبس، ولم يكن يزيد في اليوم على عشر آيات، وقد قرأت عليه أياما كثيرة خمس آيات كل يوم. وسألته عن قراءته عمن أخذها فقال: قرأت على أبي(٣).

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قرأ سورة مريم حتى انتهى الى السجدة «خروا سجدا وبكيا» فسجد بها، فلما رفع رأسه قال: «هذه السجدة قد سجدناها فأين البكاء(٤).

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٩١ .
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٩٠ .
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٩٠ .
(٤) الغاية (نفس المصدر) ١/٢٧٠ .

قال ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود: ينبغي للقارئ إذا قرأ نحو قوله تعالى: «وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله». ونحو ذلك من الآيات أن يخفض بها صوته، (١) وهكذا. وهذا من حسن آداب التلاوة. سمعت ابا جعفر يحكي لنا قراءة «اذا الشمس كورت» يحزنها شبه الرثاء(٢).

عن الحسن، المعروف بالحسام المصري: اجتمع بالشيخ أبي المعالي بن اللبان فقرأ بسورة «الم نشرح» وقال «ووضعنا عنك وزرك الذي» ووقف على الذي على عادتهم. فانكر عليه ابن اللبان وقال: لا يجوز الوقف على مثل هذا، يعني انه موصول، وقد نص الأئمة في كتبهم على انه لا يجوز الوقف على الموصول دون صلته، فقال الحسام: وقف اضطراري. فقال ابن اللبان: الاضطراري يغتفر للصغار، وأما استاذ مثلك كان ينبغي أن يقف على «وزرك» ثم يقول «وزرك الذي..» او كما قال، فلم يجر جوابا وسهل امره بعدها(٣).

قال جرير الأعمش: ان ابراهيم النخعي قال لي : ان ابراهيم التميمي كلمني أن اكلمك ان تقرئه القرآن، قلت: نعم، ليحضر مع الناس، ،قال: لا، ولكن تخصه. قلت: لا أفعل. قال: اذا يغنية الله عنك – قلت: اذا تكون قراءته مثل قراءتك(٤).

سنة اربع وتسعين وثلاثمائة، خرج الركب العراقي الى الحجاز في جحفل عظيم كبير، وتجمل كثير: فاعترضهم الاصفر امير الاعراب، فبعثوا اليه بشابين قارئين مجيدين كانا معهما يقال لأحدهما ابو الحسين الرفا، وللآخر ابو عبدالله بن الرجاجي–وكانا من احسن الناس قراءة – ليكلماه في شيء يأخذه من الحجيج، ويطلق سراحهم ليدركوا الحج، فلما جلسا بين يديه قرأ جميعا عشرا بأصوات هائلة مطربة، فادهشه ذلك وأعجبه جدا، وقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟ فقالا: بخير. لا يزال الناس يكرموننا ويبعثون الينا بالذهب والفضة والتحف، فقال لهما: هل أطلق لكما احد منهم بالف الف دينار في يوم واحد؟ فقالا: لا ولا الف درهم في يوم واحد. قال: فاني اطلق لكما الف الف دينار في هذه اللحظة. اطلق لكما الحجيج كله،و ولولاكما ما قنعت منهم بالف الف دينار، فاطلق الحجيج كله بسببهما، فلم يتعرض احد من الاعراب لهم. وذهب الناس الى الحج سالمين شاكرين لذينك المقرئين.

---

(١) الغاية (نفس المصدر) ١/٢٦٠ .

(٢) نفس المصدر ١/٣٧٠ .

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٣٦ .

(٤) نفس المصدر ١/٢٩ .

ولما وقف الناس بعرفات قرأ هذان الرجلان قراءة عظيمة، على جبل الرحمة. فضج الناس بالبكاء من سائر الركوب لقراءتهما، وقالوا لأهل العراق: أما كان ينبغي ان تخرجوا بأحدهما وتدعوا الآخر، فاذا اصيب سلم الآخر؟(١).

ان هشام بن عمار قال: سألت الله عز وجل سبع حوائج فقضى ستا والواحدة ما ادري ما صنع فيها - سألته ان يغفر لي ولوالدي، وهي التي لا أدري، وسألته ان يرزقني الحج ففعل، وسألته ان يعمرني مائة سنة ففعل، وسألته ان يجعلني مصدقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل، وسألته ان يجعل الناس يغدون إليّ في طلب العلم ففعل، وسألته ان أخطب على منبر دمشق ففعل، وسألته ان يرزقني الف دينار حلالا ففعل. وقد مات - رحمة الله - سنة خمس وأربعين ومائتين(٢).

عن يحيى بن المبارك قال: كان أبي - يعني المبارك - صديقا لأبي عمرو بن العلاء. فخرج الى مكة، فذهب أبو عمرو يشيعه، قال يحيى: وكنت معه. فاوصى أبي ابا عمرو بي فودعه ثم مضى. فلم يرني أبو عمرو حتى قدم أبي. فذهب ابو عمرو يستقبله ووافقني عند ابي فقال: يا أبا عمرو كيف رضاك على يحيى - فقال: ما رأيته منذ فارقتك الى هذا الوقت، فحلف أبي ان لا يدخل البيت حتى أقرأ على أبي عمرو القرآن كله قائما على رجلي، فقعد ابو عمرو وقمت أقرأ عليه، فلم أجلس حتى ختمت القرآن على أبي عمرو.

ذكر ابو عبد الرحمن السلمي انه قرأ على عثمان رضي الله عنه، عامّة القرآن، وكان يسأله عن القرآن، وكان ولي الامر، فشق عليه، فيقول: انك لتشغلني عن أمر الناس، فعليك بزيد بن ثابت، فانه يجلس للناس ويتفرغ لهم، ولست اخالفه في شيء من القرآن.

وقال: وكنت ألقى عليا رضي الله عنه فأسأله فيخبرني ويقول: عليك بزيد بن ثابت، فأقبلت على زيد فقرأت عليه القرآن ثلاث عشرة سنة. وقال ابو الحسين: كنا نذهب بأبي عبد الرحمن من مجلسه، وكان اعمى، وقال عطاء بن السائب: كنت اقرأ على أبي عبد الرحمن وهو يمشي، وكان رجل يقرأ على ابي عبد الرحمن فأهدى له قوساً، فردها وقال: ألا كان هذا قبل القراءة؟ الطبقات.

قال احمد بن عبدالله ابو العباس الطنافسي البغدادي: من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبي عمرو، ومن اراد الاصل فعليه بقراءة ابن كثير، ومن اراد أفصح

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١١/٣٣٤ .

(٢) الطبقات ٢/٣٥٦ .

القراءات فعليه بقراءة عاصم، ومن اراد اغرب القراءات فعليه بقراءة ابن عامر، ومن اراد الأثر فعليه بقراءة حمزة، ومن اراد أظرف القراءات فعليه بقراءة الكسائي، ومن اراد السنة فعليه بقراءة نافع.

وذكر في طبقات القراء ١/٢٥ ان الشيخ مكين الدين الاسمر، دخل يوما الى الجامع الجيوشي بالاسكندرية، فوجد شخصا واقفا وسط صحنه وهو ينظر الى ابواب الجامع، فوقع في نفس المكين الاسمر انه رجل صالح، وانه يعزم الرواح الى جهته ليسلم عليه ففعل ذلك. واذا به ابن وثيق، ولم يكن لأحد منهما معرفة بالآخر ولا رؤية، فلما سلم عليه قال له: انت عبدالله بن منصور؟ قال: نعم، قال ما جئت من المغرب الا بسببك، لأقرئك القراءات. قيل: فابتدأ عليه المكين الأسمر تلك الليلة الختمة بالقراءات السبع من أولها، وعند طلوع الفجر اذا به يقول: «من الجنة والناس» فختم عليه الختمة جمعا بالقراءات السبع في ليلة واحدة.

وكان علي بن ابي الازهر ابو الحسن اللاحمي البغدادي لا يلحقه أحد في سرعة القراءة – ولقد قرأ في يوم واحد بمحضر جماعة من القراء أخذت خطوطهم بتلاوته اربع ختمات إلا سبعا – وهذا أمر عجيب – وقد توفي – رحمة الله – في رمضان سنة سبع وسبعين. الطبقات ١/٥٢٦ .

كان الكسائي اذا كان شعبان وضع له منبر، فقرأ هو على الناس في كل يوم نصف سبع، يختم ختمتين في شعبان قال خلف: وكنت اجلس اسفل المنبر، فقرأ يوما في سورة الكهف «آية ٣٤» (أنا اكثُر منك)، فنصب اكثر، فعلمت انه قد وقع فيه، فلما فرغ أقبل الناس يسألونه عن العلة في (اكثر) فمحوه من كتبهم، ثم قال لي: يا خلف، يكون أحد من بعدي يسلم من اللحن؟ قال: قلت: لا، أما اذا لم تسلم أنت فليس يسلم منه احد بعدك.

اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرشيد، فحضرت الصلاة، فقدموا الكسائي يصلي، فارتج عليه قراءة «قل يأيها الكافرون»، فقال اليزيدي: قراءة «قل يأيها الكافرون» ترتج على قارئ الكوفة، قال: فحضرت صلاة، فقدموا اليزيدي، فارتج عليه في الحمد. فلما سلم قال:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى   ان البلاء موكل بالمنطق

الطبقات ١/٥٣٩

ولد الشاطبي أعمى ولقد حكي عنه: انه كان يصلي الصبح بغلس الفاضلة ثم يجلس للاقراء، فكان الناس يتسابقون السرى اليه ليلا، وكان اذا قعد لا يزيد على قوله: من جاء أولا فليقرأ. ثم يأخذ على الأسبق فالأسبق، فاتفق في بعض الأيام، ان بعض أصحابه سبق اولا، فلما استوى الشيخ قاعدا قال: من جاء ثانيا فليقرأ، فشرع الثاني في القراءة، وبقي الأول لا يدري حاله، وأخذ يتفكر ما وقع منه بعد مفارقة الشيخ من ذنب أوجب حرمان الشيخ له، ففطن أنه أجنب تلك الليلة، ولشدة حرصه على النوبة نسي ذلك.

فلما انتبه - بادر الى الشيخ، فاطلع على ذلك، فاشار للثاني بالقراءة، ثم ان ذلك الرجل بادر الى حمام جوار المدرسة فاغتسل به ثم رجع قبل فراغ الثاني والشيخ قاعد أعمى على حاله. فلما فرغ الثاني قال الشيخ: من جاء اولا فليقرأ. فقرأ. وهذا من احسن ما نعلمه وقع لشيوخ هذه الطائفة، بل لا أعلم مثله وقع في الدنيا، الطبقات ٢/٢٢ .

قال الكسائي : صليت بهارون الرشيد فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطاء فيها صبي قط. اردت ان أقول « لعلهم يرجعون» فقلت : لعلهم يرجعين، فو الله ما اجترأ هارون ان يقول اخطأت، ولكنه لما سلم قال: أي لغة هذه، قلت: يا أمير قد يعثر الجواد، قال: اما هذه فنعم(١)

قال أحمد بن عثمان بن الفضل المعروف بغلام السباك: ثقل سمعي وكان شاب جميل يقرأ علي، فكنت انظر الى فمه ولسانه مراعاة قراءته، وكان الناس يقفون ينظرون اليه لحسنه، فاتهمت فيه، فساءني ذلك، فسألت الله ان يرد علي سمعي فرده علي، وقد توفي - رحمه الله -- سنة اربعين وثلاثمائة(٢).

محمد بن عبد الله بن الصباغ القرطبي المقرىء : رآه ابن العلاف يأكل الورق، فأخبر الوزير فقال: ارسل اليه شيئاً، قال: ما يقبله، قال: تتحيل، وأمر غلاما له ان يعمل لذلك المسجد مفتاحاً آخر، وقال: احمل اليه كل يوم رغيفاً ودجاجة وقطعة حلاوة، فكان ابو علي يجيء فيفتح فيجد ذلك فيعجبه، ويقول: لعل هذا من الجنة، وكتم امرة فأخصب جسمه وسمن، فقال له ابن مالك: قد سمنت، فمثل بهذا الشعر.

من اطلعوه على سر فباح به   لم يأمنوه على الاسرار ما عاشا

ثم اخذ يوري ولا يصرح، فما زال به العلاف حتى اخبره بالكرامة، فقال له : ينبغي ان تدعو للوزير، ففهم القصة وانكسر قلبه ولم تطل به مدته.

---

(١) معرفة القراء للذهبي ١٠٣ .

(٢) معرفة القراء الكبار لشمس الدين الذهبي ٢٥١ .

قصة ورش

حدثنا محمد بن سعيد عن ابي جعفر عن احمد بن هلال، حدثني محمد بن سلمة العثماني قال : قلت لأبي: أكان بينك وبين ورش مودة؟ قال: نعم، حدثني ورش قال : خرجت من مصر لأقرأ على نافع، فلما وصلت الى المدينة صرت الى مسجد نافع، فإذا هو لا يطاق القراءة عليه من كثرتهم، وإنما يقريء بلين.

فجلست خلف الحلقة – وقلت لإنسان : من اكبر الناس عند نافع؟ فقال: انه كبير الجعفريين – فقلت : فكيف به؟ قال: أنا أجيء معك الى منزله.

وجئنا الى منزله، فخرج شيخ فقلت: أنا من مصر – جئت لأقرأ على نافع، فلم أصل اليه، وأخبرت انك من اصدق الناس له. وانا اريد ان تكون الوسيلة اليه.

فقال : نعم وكرامة، وأخذ طيلسانه ومضى معنا الى نافع، وكان لنافع كنيتان: ابو رويم وابو عبد الله، فأيهما نودي أجاب، فقال له الجعفري: هذا وسّلني اليك، جاء من مصر، ليس معه تجارة، ولا جاء لحج، وإنما جاء للقراءة خاصة، فقال: ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والانصار؟ فقال صديقه: تحتال له. فقال لي نافع: أيمكنك أن تبيت في المسجد؟ قلت: نعم فبت في المسجد، فلما كان الفجر جاء نافع، فقال: ما فعل الغريب؟ فقلت: ها أنا رحمك الله. قال: أنت أولى بالقراءة، قال: وكنت مع ذلك حسن الصوت مداداً به. فاستفتحت فملأ صوتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأت ثلاثين آية، فأشار بيده ان اسكت، فسكت، فقام اليه شاب من الحلقة فقال: يا معلم، أعزك الله، نحن معك، وهذا رجل غريب، وانما رحل للقراءة عليك، وقد جعلت له عشراً، فقال: نعم وكرامة، فقرأت عشراً، فقام فتى آخر فقال كقول صاحبه، فقرأت عشراً وقعدت، واقتصرت على عشرين، حتى لم يبق له احد ممن له قراءة. فقال لي: أقرأ، فأقرأني خمسين، حتى قرأت عليه ختمات قبل ان اخرج من المدينة.

قال معلي بن وجيه المصري : سافرت بكتاب الليث بن سعد الى نافع بن ابي نعيم لأقرأه عليه، فوجدته يقرئ بجميع القراءات، فقلت له: يا أبا رويم، ما هذا؟ قال: اذا جاء من يطلب حرفي أقرأته به.

نافع: كان اذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك، فقيل له؟ أتتطيب كلما قعدت تقرئ الناس؟ فقال: اني لا أقرب الطيب ولا أمسه، ولكن رأيت فيما يرى النائم، أن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في فيَّ فمن ذلك الوقت يشم من فمي هذه الرائحة.

وقيل له: ما أصبح وجهك واحسن خلقك! فقال: كيف لا اكون كما ذكرتم وقد صافحني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه قرأت القرآن في النوم؟

قالون : كان قالون أصم شديد الصمم ولا يسمع البوق، فإذا قرئ عليه القرآن سمعه، وكان يقرئ القراء، ويفهم خطأهم ولحنهم بالشفة ويردهم الى الصواب.

شعبة : لما حضرته الوفاة بكت اخته، فقال لها ما يبكيك؟ انظري الى تلك الزاوية، فقد ختمت فيها القرآن ثماني عشرة الف ختمة.

ابو جعفر : قال سليمان بن مسلم شهدت ابا جعفر وقد حضرته الوفاة، فجاءه ابو حازم الاعرج في مشيخة من جلسائه، فأكبوا عليه يصرخون به فلم يجبهم - فقال شيبة، وكان ختنة على ابنة أبي جعفر - ألا اريكم عجباً؟ قالوا: بلى. فكشف عن صدره، فإذا دوارة بيضاء مثل اللبن، فقال ابو حازم وأصحابه، هذا والله نور القرآن.

وقال نافع : لما غسل أبو جعفر بعد وفاته - نظروا ما بين نحره الى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شك أحد ممن حضر أنه نور القرآن.

جمع ابو موسى الاشعري الذين قرأوا عليه وهم قريب من ثلاثمائة، فعظم القرآن وقال: إن هذا القرآن كائن لكم ذخراً وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم، فإنه من اتبع القرآن هبط به الى رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زخ به في قفاه فقذفه في النار.

جاء رجل الى عمر وهو يعرفه فقال: يا أمير المؤمنين جئتك من الكوفة، وتركت بها رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب. قال: فغضب عمر وانتفخ حتى كاد أن يملاء ما بين شعبتي الرجل. قال: من هو ويحك؟ قال عبد الله بن مسعود. قال: فما زال يطفأ ويسرى عنه الغضب حتى عاد الى حالته التي كان عليها، ثم قال: ويحك، والله ما اعلم بقي من الناس احد هو احق بذلك منه، وسأحدثك عن ذلك:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في الامر من أمر المسلمين، وانه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي، وخرجنا معه نمشي، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءته، فلما كدنا أن نعرف الرجل قال: «من سره ان يقرأ القرآن رطباً كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد» قال: ثم جلس الرجل فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سل تعطه، سل تعطه. قال: فقال عمر: فقلت: والله لأغدون اليه ولأ بشرنه، قال: فغدوت اليه لأبشره فوجدت ابا بكر قد سبقني اليه فبشره، فلا والله ما سبقته قط الى خير الا سبقني اليه.

عن ابن حكيمة قال: كان علي كرم الله وجهه يمر علينا ونحن بالكوفة نكتب المصاحف فيقوم فينظر الينا ويعجبه خطنا، فقال: إجل قلمك، فقططت القلم فقال: هكذا، نوروا ما نور الله.

مراجـــع الكتـــاب

١ - النشر في القراءات العشر/لابن الجزري.

٢ - التحديد في الاتقان والتجويد/ابو عمرو الداني.

٣ - البداية والنهاية/لابن كثير.

٤ - العقد الفريد/لابن عبد ربه.

٥ - مجموعة فتاوي ابن تيمية/جمع عبد الرحمن بن قاسم وولده.

٦ - احياء علوم الدين/للامام الغزالي.

٧ - فكر الشافعي/تأليف بدر محمد ملك - وخليل محمد ابو طالب.

٨ - ادب الدنيا والدين/الماوردي.

٩ - آداب الشافعي ومناقبه/الرازي.

١٠ - التمهيد/لابن الجزري.

١١ - غاية النهاية في طبقات القراء/لابن الجزري.

١٢ - جامع البيان في القراءات السبع/ابو عمرو الداني.

١٣ - تهذيب الكمال في اسماء الرجال/للحافظ المتقن ابي الحجاج المري.

١٤ - سيرة عمر بن عبد العزيز/لابن الجوزي.

١٥ - اخلاق اهل القرآن/محمد بن الحسين الآجري.

١٦ - معرفة القراء الكبار/لشمس الدين الذهبي.

١٧ - تلبيس ابليس/عبد الرحمن بن الجوزي.

١٨ - الخصائص/لابن جني.

١٩ - التبيان في آداب حملة القرآن/للنووي.

٢٠ - القول السديد في حكم التجويد/محمد بن خلف الحسيني.

٢١ - منجد المقرئين/لابن الجوزي.

٢٢ - نهاية القول المفيد/محمد مكي نصر.

٢٣ - هداية القاري الى تجويد كلام الباري/عبد الفتاح عجمي المرصفي.

٢٤ - تهذيب تاريخ ابن عساكر.

٢٥ - طبقات ابن سعد.

٢٦ – الاتقان في علوم القرآن/للسيوطي.
٢٧ – فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم/تأليف الدكتور احمد السيد الكوفي والدكتور محمد احمد يوسف القاسم.
٢٨ – البيان في علوم القرآن/للشيخ عبد الوهاب غزلان.
٢٩ – روح المعاني/للألوسي.
٣٠ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان/للنيسابوري.
٣١ – مجمع البيان لعلوم القرآن/لابي الفضل الطبري.
٣٢ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/للحافظ الهيثمي.
٣٣ – فضائل القرآن/لابن كثير.
٣٤ – مقدمات في علوم القرآن/لابن عطية.
٣٥ – المنتقى في منهاج الاعتدال/للذهبي.
٣٦ – المصاحف/لابن ابي داود – تحقيق ارثر جعفر الرحماني – الاولى.
٣٧ – حياة الصحابة/الكاند هلوي.
٣٨ – خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر – شمس الدين البابلي.
٣٩ – ملحة الاعراب – للحريري.
٤٠ – القراءات القرءانية وموقف المفسرين منها – محمد علي الحسن.

المملكة الاردنية الهاشمية

وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية

مديرية التعليم الشرعي

مبحث في توجيه القراءات فيما تفرد به حفص عن عاصم للمستوى الثالث في دور القرآن النموذجية

جمع وترتيب

الشيخ زيدان محمود سلامه العقروباي

من كتاب

(الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها)

للعلامة ابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن وشرفنا بحفظه وتلاوته، وتعبدنا بتجويده وتحريره، وجعل ذلك من اعظم عباداته، فطوبى لمن يتلو كتاب الله حق تلاوته ويواظب آناء الليل واطراف النهار على دراسته، فهو المنهج القويم، والصراط المستقيم وشفاء الصدور، والهدى والنور، وبحر المعاني والمعارف والعلوم.

واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة تنجي قائلها من النار وأشهد ان محمدا عبده ورسوله صاحب المعجزة الدائمة والشرف والكمال. صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين ملأ الله قلوبهم بمعرفته ومحبته. فنهضوا لخدمته بالارشاد والافادة صلاة وسلاماً تبلغنا درجات المحسنين فننضم معهم.

وبعد : فاكرم بعلم يتصل سنده برب العالمين بواسطة روح القدس وسيد الخلق اجمعين، هذا وقد ابتلي اكثر الناس بالتصدر للاقراء قبل اتقان العلوم المحتاج اليها دراية، اعتقادا منه ان جميع مايجده في كتب القراءات صحيح، ويعرف فساد ذلك الائمة المحققون والحفاظ الضابطون تحقيقا لوعده الصادق «**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**» وقد أخذت وزارة الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية الاردنية على عاتقها تطوير مقرر الدراسة في دور القرآن الكريم تجمع فيه بين علم الرواية والدراية.

فيتعلم الدارس من التفسير ما يستعين به على فهم القرآن الكريم، ولاتكون همته مقتصره على سماع لفظ القرآن دون فهم معانيه – اضافة الى الفقه والحديث وعلوم القرآن والعقيدة والسيرة النبوية، ومن النحو جملة كافية يستعين بها على تصحيح الالفاظ، وهذه المواد السبع هي وسائل لرفع مستوى ثقافة الطالب ومواد مساعدة للمواد الاساسية من تجويد وحفظ واداء وتلاوة.

وهذا المبحث في توجيه وعلل تفردات حفص عن عاصم، الكلمات التي انفرد بها حفص بن سليمان في روايته عن عاصم بن ابي النجود نقلا عن ابي عبد الرحمن السلمي عن علي بن ابي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، جمعتها من كتاب (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها) لمؤلفه ابي محمد مكي بن ابي طالب القيسي يستعين بها الطالب على فهم حجة هذه التفردات وحجة الباقين في حروفهم، فيتعلم من النحو جملة كافية يستعين بها على توجيه القراءات، ويستعين به على فهم القرآن.

والقراءة الصحيحة ما صح سندها الى النبي صلى الله عليه وسلم وساغ وجهها في العربية ووافقت خط المصحف.

واضرع الى الله سريع الحساب ان ييسره للطلاب ويريني واياهم بركته في دار الرضا والثواب فهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

زيدان محمود سلامة العقرباوي

١ - (هُزُوًا، وكُفُواً، وجُزْءاً) حيث وقعت :

قرأ حمزة باسكان الزاي والفاء - وضمهما الباقون - وكلهم همز الا حفصا فانه أبدل من الهمزة واوا مفتوحة على اصل التخفيف لأنها همزة مفتوحة قبلها ضمة فهي تجري على البدل(١).

فحجة من حققها أنه أتى بها على الاصل فأظهرها محققة كما يفعل بسائر الحروف وخف ذلك عليه وسهل لانفرادها اذ ليس قبلها همزة وزاده قوة ان كثيرا من العرب والقراء يحققونها مع تكررها على أصلها فكان تحقيقها وهي مفردة اكد وأخف وأقوى، وأيضا فإنه همز ذلك ليبين أن الأصل الهمزة اذ لو خفف لجاز لظان أن يظن أنه لا أصل للكلمة في الهمز فكان في بيان اصلها(٢).

وحجة من خفف الهمزة أنه استثقلها محققة فخففها - وايضا فإن التخفيف لغة أهل الحجاز(٣) وأيضا فإن التخفيف أخف على القارئ مع موافقة لغة العرب والرواية(٤).

٢ - (**فيوفيهم**) قوله تعالى :

«**وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لايحب الظالمين**» آل عمران ٥٧ .

(**فيوفيهم**) قراءة حفص بالياء، وقرأ الباقرن بالنون.

«**فأعذبهم**» آية (٥٦) والنون في الإخبار كالهمزة في الاخبار وأيضا فإن بعده إخباراً ايضا في قوله (**نتلوه**) آية (٥٨) فحمل الكلام على نظام واحد اوسطه كأوله وآخره وهو الاختيار - لإجماع القراء عليه، ولما ذكرنا من تطابق الكلام وتجانسه.

وحجة من قرأ بالياء انه حمله ايضا على ماقبله من لفظ الغيبية في قوله : «**اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك**» آية (٥٥)(٥).

٣ - (**يرجعون**) من قوله تعالى :

«**أفغير دين الله يبغون وله اسلم من في السماوات والارض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون**» آل عمران (٨٣).

قرأ أبو عمرو وحفص يبغون بالياء.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١/٢٤٧ .
(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١/٨٠ .
(٣) كتاب سيبويه ٢/١٩٠ .
(٤) الكشف عن وجوه القراءات ١/٨١ .
(٥) الكشف ١/٣٤٥ .

وقرأ حفص وحده (**يرجعون**) بالياء – وقرأهما الباقون بالتاء.

وحجة من قرأ بالتاء أنه اجراه على الخطاب لهم – أمر الله نبيه أن يقول لهم : أفغير دين الله تبغون أيها الكافرون، واليه ترجعون، لأنهم كانوا ينكرون البعث، وينتحلون غير دين الله، فخوطبوا بذلك على لسان النبي عليه السلام.

ويؤكد القراءة بالتاء في (**ترجعون**) قوله (**اليه مرجعكم**) الانعام (٦٠) فالتاء كالكاف ولذلك عدل ابو عمرو الى التاء في (**ترجعون**) وخالف فيها (**يبغون**).

وحجة من قرأ بالياء أنه جعله اخباراً عن غيب لأنهم لم يكونوا بالحضرة وأيضا فإنه قبله ذكر غيب في قوله (**فأولئك هم الفاسقون**)(١).

٤ – (**يجمعون**) من قوله تعالى :

«**ولئن قتلتم في سبيل الله أو متُم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون**» (آل عمران ١٥٧).

قرأ حفص بالياء على أنه حمله على لفظ الغيبية على معنى: لمغفرة من الله لكم ورحمة خير مما يجمع غيركم من ترك القتال في سبيل الله لجمع الدنيا، ولم يقاتل معكم.

وقرأ الباقون بالتاء، ردوه على الخطاب الذي قبله في قوله (**ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم**) على معنى: لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون من اغراض الدنيا لو بقيتم(٢).

٥ – (**سوف يؤتيهم**) من قوله تعالى : «**أولئك سوف يؤتيهم أجورهم.**» النساء (١٥٢)، (**سنؤتيهم**) من قوله تعالى : «**اولئك سنؤتيهم أجرا عظيماً**» النساء (١٦٢)..

قرأ حفص (**سوف يؤتيهم**) بالياء وقرأ حمزة (**سيؤتيهم**) بالياء، اجرياهما على لفظ الغيبة لتقدم ذكر اسم الله جل ذكره.

وقرأهما الباقون بالنون على الاخبار من الله نفسه جل ذكره(٣)، وقد مضى له نظائر (**سوف نؤتيهم**) و(**سنؤتيهم**).

٦ – (**استحق**) من قوله تعالى :

«**من الذين استحق عليهم الأوليان**» المائدة (١٠٧).

قرأ حفص (**استَحَق**) بفتح التاء والحاء – وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الحاء، وقرأ ابو بكر وحمزة (**الأولين**) جمع (**أول**) المسلم المخفوض، وقرأ الباقون (**الأوليان**) تثنية أولى المرفوع.

(١) الكشف ١/٣٥٣ .
(٢) الكشف ١/٣٦٢ .
(٣) الكشف ١/٤٠١ .

وحجة من فتح (التاء) أنه بنى افعل للفاعل، فأضاف الفعل الى (**الاوليان**) فرفعهما ب (**استحق**).

التقدير : من الذي استحق عليهما اوليان بالميت وصيته التي أوصى بها الى غير أهل دينه او الى غير قبيلته.

٧ - (**معيَ**) من قوله تعالى :

«**حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معيَ بني إسرائيل**» الاعراف (١٠٥) فتحها حفص.

فصل ياءات الاضافة وعللها

اعلم أن ياء الاضافة زائدة ابدا وهي اسم المضاف اليه، وأصلها الحركة لأن الاسم لايكون على حرف واحد ساكن، والدليل على أن اصلها الحركة انها كالكاف في (**عليك وإليك**) وكالهاء في (**عليه وإليه**) وكالتاء في (**رأيت**) و(**أرأيت**) وهذه المضمرات لاتكون الا متحركات فكذلك ياء الاضافة.

وإنما جاز اسكانها (**استخفافا**) ولايجوز ذلك في الكاف والهاء والتاء، استثقالا للحركة على الياء، لأن الياء حرف ثقيل، فإذا تحرك ازداد ثقلاً، ويدل على ثقل الحركة على الياء انها تقلب ألفا، اذا تحركت وانفتح ماقبلها في اكثر الكلام، وانهم لما حركوها اعطوها الفتح الذي هو أخف الحركات، ولو اعطوها الكسر، والذي قبلها لا يكون - اذا كان متحركا - الا مكسورا لاجتماع كسرتين، وياء عليها كسرة وذلك ثقيل، ولو اعطوها الضم لاجتمع ماهو أثقل من ذلك فكان الفتح اولى بها، اذ لابد من حركة تقويها، والفتح فيها أقوى وأفصح لأنه الاصل، ولخفة الفتحة، ولأن العرب تأتي بهاء السكت، بعد ياء الاضافة، لتثبت حركتها في الوقف، فاذا كانوا يحرصون على بقاء الحركة في الوقف، فثباتها في الوصل آكد، فمن ذلك ادخالهم الهاء في (**كتابيه وحسابيه وماليه**) وشبهه، حرصا على بيان حركة الياء في الوقف اذا كانت اسما على حرف واحد، فالزم الحركة في الوقف والوصل لتقوى(١)..

ومن ذلك أصل عاصم .. كان عاصم في رواية أبي بكر عنه يسكن كل الياءات التي للإضافة المختلف فيها غير تسع عشرة ياء فانه فتحها.

وقرأ في رواية حفص عنه باسكان كل الياءآت الا اثنتين وأربعين ياء فانه فتحها(٢).

(١) الكشف ١/٣٢٤ .
(٢) الكشف ١/٣٢٩ .

وكذلك - (**معيَ عدواً**) التوبة ٨٣ فتحها حفص - (**ليَ عليكم**) ابراهيم ٢٢ فتحها حفص.
(**معيَ صبرا**) الكهف في ثلاثة مواضع (٦٧، ٧٢، ٧٥) قرأهن حفص بالفتح - (ذكر من معي)/الانبياء (٢٤).
فتحها حفص، (**معيَ ربي**) الشعراء (٦٣) قرأ حفص بالفتح - (**معيَ ردءاً**) القصص (٣٤) بالفتح (**وليَ نعجة**) ص (٢٣) (ماكان لي من علم) ص (٦٩).

٨ - (**تلقف**) من قوله تعالى :

«**وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف مايأفكون**» الاعراف ١١٧. وكذله طه (٦٩)، والشعراء (٤٥).

قرأ حفص باسكان اللام والتخفيف حيث وقع، جعله مستقبل (**لقف يلقف**) وقرأ الباقون بالتشديد وفتح اللام، جعلوه مستقبل (**فهي تتلقف**) وحذفت احدى التائين استخفافا(١).

٩ - (**معذرةً**) من قوله تعالى :

«**وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً، قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون**» الاعراف (١٦٤).

قرأ حفص بالنصب على المصدر، كأنهم لما قيل لهم (**لم تعظون**) قالوا: نعتذر من فعلهم اعتذاراً الى ربكم، فكأنه خبر مستأنف وقوعه منهم، ويجوز أن يكون قد وقع ذلك منهم على معنى: (**اعتذرنا اعتذاراً**).

وقرأ الباقون بالرفع على اضمار مبتدأ دل عليه الكلام، كأنهم لما قيل لهم: لم تعظون قوما قالوا: موعظتنا معذرةٌ لهم. فهو امر قد مضى منهم فعله(٢).

١٠ - (**كيدِ**) من قوله تعالى :

«**ذلكم وأن الله موهن كيدِ الكافرين**» الانفال (١٨).

موهن قرأ الحرميان وابو عمرو بالتشديد، وخفف الباقون وكلهم نون ونصب (**كيدَ**) الا حفصا، فانه اضاف (**موهن**) الى (**كيد**) مخفضة.

وحجة من خفف انه جعله اسم فاعل من (اوهن فلان الشيء) اذا ضعفه، يقال وهن الشيء وأوهنته كـ (**خرج وأخرجته**) فأما تنوينه فهو الأصل في اسم الفاعل، اذا اريد به الاستقبال او الحال، فنونه على اصله ونصب به (**كيدَ**).

---

(١) الكشف ١/٤٧٣ .
(٢) الكشف ١/٤٨١ .

وحجة من شدد انه جعله اسم فاعل من (**وهنت الشيء**) مثل (**اوهنته**) فـ (**فعلت وأفعلت**) أخوان، الا ان في التشديد معنى التكرير فهو توهين بعد توهين.

وحجة من اضاف انه اراد التخفيف، فحذف التنوين واضاف استخفافاً، على اصل اسم الفاعل اذا اريد به الحال والاستقبال، وقد جاء القرآن بالاضافة وبغير الاضافة قال الله جل ذكره: «**هديا بالغ الكعبة**» المائدة٩٥/، «**ولاتقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً**» الكهف (٢٣)، وترك التنوين اخف واكثر في القرآن والكلام، واثباته هو الاصل(١).

١١ - (**متاعَ**) من قوله تعالى :

«**ياأيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا..**» يونس (٢٣).

قرأ حفص بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

وحجة من نصب أنه أعمل فيه البغي على انه مفعول له، أي: انما بغيكم على انفسكم من اجل متاع الحياة الدنيا، أي يبغي بعضكم على بعض لأجل متاع الحياة الدنيا فـ (**على**) متعلقة بـ (**البغي**) في صلته، وخبر البغي محذوف تقديره: انما بغي بعضكم على بعض لأجل طلب الدنيا، مذموم او مكروه ونحوه، ويجوز نصب (**متاعَ**) على تقدير يمتعون متاع الحياة الدنيا ويكون (**على انفسكم**) خبرا لـ (**البغي**) غير داخل في صلة البغي، متاع الحياة الدنيا، ودل (**بغيكم**) على (**تبغون**) المحذوف.

وحجة من رفعه أنه جعله خبرا لـ (**بغيكم**) و (**على**) متعلقة بالبغي، وتقديره: انما بغي بعضكم على بعض متاع الحياة الدنيا، ويجوز ان ترفع (**متاعا**) على اضمار مبتدأ وتجعل (**على انفسكم**) خبرا لـ (**بغيكم**) على تقدير: انما بغيكم راجع وباله عليكم أي : بغي بعضكم على بعض عائد على (انفسكم) هو متاع الحياة الدنيا، وذلك متاع(٢).

١٢ - (**من كلٍ زوجين**) من قوله تعالى :

«**حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول..**» هود (٤٠) ومثله في سورة المؤمنون (٢٧).

قرأهما حفص بتنوين (كل) وقرأهما الباقون بغير تنوين.

وحجة من نون انه عدى الفعل وهو (**احمل**) و(**اسلك**) الى (**زوجين**) فنصبهما بالفعل وجعل (**اثنين**) نعتا لـ (**زوجين**) وفيه معنى التأكيد، كما قال «**لاتتخذوا إلاهين**

---

(١) الكشف ٤٩٠ - ١/٤٩١ .

(١) الكشف ١/٥١٦ .

اثنين» النحل (٥١) وقال «**ولي نعجة واحدة**» ص (٢٣) وقال «**ومناة الثالثة الأخرى**» النجم (٢٠) فـ (**كل**) نعت فيه معنى التأكيد، والتقدير: احمل فيها زوجين اثنين من كل شيء، ثم حذف ما أضيف اليه (**كل**) فنون (**كلاً**).

وحجة من أضاف انه عدى الفعل الى (**اثنين**) وخفض (**زوجين**) لاضافة (كل) اليهما والتقدير: احمل فيها اثنين من كل زوجين أي من كل صنفين.

١٣ - (**يابنيَّ اركب**) هود (٤٢)

قرأ حفص بفتح الياء والتشديد هنا وفي يوسف (٦) والصافات (١٠٢) وثلاثة مواضع في لقمان (١٣ - ١٦ - ١٧) ووافقه ابو بكر على الفتح هنا خاصة.

وقرأ ابن كثير باسكان الياء والتخفيف في لقمان في قوله «**يابنيْ لاتشرك**» (١٣) وقرأ في رواية قنبل عنه: «**يابني أقم الصلاة**» لقمان (١٧) باسكان الياء والتخفيف، وفي رواية البزي بفتح الياء والتشديد كقراءة حفص. وقرأ جميع ذلك الباقون بكسر الياء والتشديد.

وحجة من شدد الياء وكسرها، وعليه اكثر القراء. لأن الاصل فيه ثلاث ياءات: الاولى ياء التصغير والثانية هي لام الفعل في (**ابن**) لأن أصله (بني) على (**فعل**)(١) والتصغير يرد المصغرات الى أصولها، فردت الياء لأنها أصلية وامتنعت ياء التصغير من دخول الحركات فيها، لئلا تقلب وتغير، والثالث هي ياء الاضافة التي ينكسر ما قبلها ابداً، فادغمت ياءالتصغير في الثانية، وفي لام الفعل، وكسرت لأجل ياء الاضافة، وحذفت ياء الاضافة لاجتماع ثلاث ياءات مع تشديد وكسرتين، ولأن فيه اكثر من غيره اجتماع كسرات وياءات، فاذا اجتمع مايستثقل كان الحذف آكد وأقوى، وبقيت الكسرة تدل على ياء الاضافة، كما تقول: ياغلام وياصاحب تعال، فتحذف الياء وتبقى الكسرة تدل عليها، وانما قوي الحذف لياء الاضافة في النداء لأنها بدل من التنوين، والتنوين لا يثبت في المعارف في النداء فحذف ما هو بدل منه، واثباتها جائز في كل موضع الا فيما يقع فيه الاستثقال، لاجتماع الياءات، فإن الاثبات لياء الاضافة فيه ضعف قليل نحو - يابني ويا أخي وشبهه.

وحجة من فتح الياء مشددة انه لما أتى بالكلمة على أصلها ثلاث ياءات، استثقل اجتماع الياءات والكسرات فابدل من الكسرة التي قبل ياء الاضافة فتحة، فانقلبت ياء

(١) فعيل.

الاضافة ألفا، ثم حذفت الألف، كما تحذف الياء في النداء، وبقيت الفتحة تدل على الألف المحذوفة، وقد أجاز المازني (**يازيداً تعال**) يريد: (**يازيدي**) ثم أبدل من كسرة الدال فتحة، ومن الياء ألفا، قال المازني: وضع الألف مكان الياء في النداء مطرد، وعلى هذا قرأ ابن عامر (**ياأبت**) يوسف (٤) بفتح التاء، أراد: يا أبتي، ثم قلب وحذف الالف لدلالة الفتحة عليها.

وحجة من اسكن الياء : انه حذف ياء الاضافة على أصل حذفها في النداء، ثم استثقل ياء مشددة مكسورة فحذف لام الفعل فبقيت ياء التصغير ساكنة، وهي قراءة فيها ضعف لتكرر الحذف وقد جاءت في الشعر في غير الياءات، فهو في الياءات اجود، لثقل ذلك(١).

١٤ - (**دأبا**) من قوله تعالى :

«**قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون**» يوسف (٤٧).

قرأه حفص بفتح الهمزة، وأسكن الباقون، وهما لغتان مثل: النَّهْر - والنَّهرَ - والسَّمْع - والسَّمَع(٢).

١٥ - (**نوحي إليهم**) من قوله تعالى :

«**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى..**» يوسف (١٠٩).

قرأ حفص بالنون وكسر الحاء ومثله في النحل موضع آية (٤٣) وفي الانبياء موضعان آية (٧) و (٢٥) ووافقه حمزة والكسائي في الثاني من الانبياء - رده في هذه السورة على قوله: (وما ارسلنا) فجرى الفعلان على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه بذلك، كما قال: «انا اوحينا اليك» النساء (١٦٣)..

وقرأ الباقون بالياء وفتح الحاء، في الاربعة المواضع، ردوه على لفظ (رجال) فأقيموا مقام الفاعل على مالم يسم فاعله، كما قال: «**وأوحي الى نوح**» هود (٣٦) وقال: «**وأوحي اليّ**» الانعام (١٩) (٣).

١٦ - (**والشمس والقمر والنجوم مسخرات**) من قوله تعالى :

«**وسخر لكم الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنجومُ مسخراتٌ بأمره..**» النحل (١٢).

---

(١) الكشف ٥٢٩/٥٣٠/١ .
(٢) الكشف ١١/٢ .
(٣) الكشف ١٥ /.

قرأ ابن عامر برفع الاربع الكلمات ووافقه حفص على رفع (**والنجوم مسخرات**) وقرأهن الباقون بالنصب، والتاء من (**مسخرات**) مكسورة في حال النصب على الاصول في جمع المؤنث المنصوب على حد التثنية.

وحجة من رفع انه قطعه مما قبله، فرفعه بالابتداء، وعطف بعض الاسماء على بعض وجعل (**مسخرات**) خبر الابتداء وقوي الرفع، لأنك اذا نصبت جعلت (**مسخرات**) حالا، وقد تقدم في اول الكلام (**وسخر**) فاغنى عن ذكر الحال بالتسخير، ألا ترى انك لو قلت : سخرت لك الدابة مسخرة كان قبيحا من الكلام، لأن (**سخرت**) يغني عن (**مسخرة**) وكذلك لو قلت : جلس زيد جالسا، لم يحسن، وكذلك يبعد (**سخر الله النجوم مسخرات**) على الحال، فلما قبح نصب (**مسخرات**) على الحال ورفع ماقبله، جعل مسخرات خبرا عنه.

وحجة من نصب أنه عطفه على ماقبله او أعمل فيه (**وسخر**) ليرتبط بعض الكلام ببعض وتكون (**مسخرات**) حالا مؤكدة، عمل فيها (**سخر**) وجاز ذلك لبعد ما بينهما، وهو مثل قوله: «**وهو الحق مصدقا**» البقرة (٩١) في أنهما حالان مؤكدان.

وحجة من رفع (النجوم مسخرات) فقط انه عطف (الشمس والقمر) على معمول (سخر) ثم أبتدأ (والنجوم مسخرات) على الابتداء والخبر، كراهة ان يجعل (مسخرات) حالاً لما قدمنا من قبح ذلك، وهو وجه قوي وقراءة حسنة(١).

١٧ – (**ورجلك**) من قوله تعالى :

«**واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**» الاسراء (٦٤).

قرأ حفص (**ورجلك**) بكسر الجيم، واسكن الباقون.

وحجة من كسر الجيم انه لغة في (رجل) يقال: رَجْل ورَجِل للراجل.

فيسكنون استخفافا، ورَجِل صفة اذا كان بمعنى راجل، والصفة اذا اتت على (**فَعْل**) جاز فيها (**فَعِل**) يقال: نَدْس ونَدِس – حَذْر وحَذِر، فعلى هذا قالوا في (**رجل**) الذي هو صفة بمعنى (**راجل**) رَجْل، كما قالوا: نَدِس، فـ (**رَجِلك**) واحد يراد به الكثرة.

وحجة من قرأ بالاسكان انه جمع (**راجلا**) على (**رْجل**) كـ (**صاحب وصحْب، راكب**

---

(١) الكشف ٢/٣٥ .

وركْب، تاجِر وتَجْر) وقد قالوا: رجِل ورجال، كما قالوا: صاحب وصحاب، وقالوا: راجل ورجلى، وراجل ورجال، ويجوز ان تكون قراءة من أسكن مثل قراءة من كسر الجيم، الا انه اسكن الكسرة استخفافا، فتتفق القراءتان(١).

١٨ - (**عوجا، قيما**) الكهف(١) وقوله (**من مرقدنا هذا**) يس (٥٢) كان حفص يقف على عوجا وقفة خفيفة في وصله وكذلك كان يقف على (**مرقدنا**) في يس وعلى (من) من قوله (**من راق**) القيامة (٢٧) وعلى (**بل**) من قوله (**بل ران**) المطففين (١٤).

وحجة ذلك انه اختار للقارىء أن يبين بوقفه على (**عوجا**) انه وقف تام، فإن (**قيّما**) ليس بتابع في اعرابه لـ (**عوجا**) انما هو منصوب بإضمار فعل تقديره: أنزله قيما، وكذلك وقف على (**مرقدنا**) ليبين أن هذا ليس بصفة لـ (المرقد) وأنه مبتدأ، وليبين انه ليس من قول الكفار، وانه من قول الملائكة مستأنف، وقيل: هو من قول المؤمنين للكفار، وكذلك وقف على (**من**) في (**من راق**) وعلى (**بل**) في (**بل ران**) ليبين اظهار اللام والنون لأنهما ينقلبان في الوصل (راء) فتصير مدغمة في الراء بعدها، ويذهب لفظ اللام والنون.

وقرأ الباقون ذلك كله بغير وقف مروي عنهم، وحجتهم في ذلك انه كلام متصل في الخط وان الادغام فرع، فلا كراهية في ذلك، ولو لزم الوقف على (عوجا) وعلى (مرقدنا) لجميع القراء لكان ذلك حسنا لأنه يفرق بالوقف بين معنيين، فهو تمام مختار الوقف عليه(٢).

١٩ - (**لمهلكهم موعدا**) الكهف (٥٩) و (**مهلك أهله**) في النمل (٤٩)

من قوله تعالي : «**وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا» الكهف (٥٩).**

من قوله تعالى : «**قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون**» النمل (٤٩).

قرأهما ابو بكر بفتح الميم واللام الثانية.

وقرأهما حفص بفتح الميم وكسر اللام الثانية - وقرأ الباقون بضم الميم، وفتح اللام الثانية.

وحجة من فتح الميم واللام انه جعله مصدرا من (**هلك**) وعداه، يحكى ان بني تميم يقولون: هلكني الله، جعلوه من باب (**رجع زيد ورجعته**) ويكون مضافا الى المفعول

---

(١) الكشف ٢/٤٩ .

(٢) الكشف ٥٥ - ٢/٥٦ .

كقوله: **(من دعاء الخير)** فصلت (٤٩) فأما من لم يجز تعديه **(هلك)** الى مفعول فانه يكون مضافا الى الفاعل، كأنه قال: وجعلنا لهلاكنا اياهم موعدا ومن جعله متعديا يكون تقديره: وجعلنا لاهلاكنا اياهم موعدا، والمصدر في الاصل من **(فعل يفعل)** يأتي على **(مفعل)** فلذلك كان **(مهلك)** مصدرا من **(هلك)**.

وحجة من كسر اللام وفتح الميم أنه جعله ايضا مصدرا من (هلك) والوجهان في اضافته جائزان على ماتقدم، لكنه خارج عن الاصول، أتى نادرا **(مفعل)** من (فعل يفعل) كما قالوا: المرجع مصدر من رجع يرجع كالرجوع، وقالوا في ترك **(مكيل)** أي الكيل أتى بالكسر وهو على **(فعل يفعل)**.

وحجة من ضم الميم وفتح اللام انه جعله مصدرا لـ **(أهلك يهلك)** فهو بابه، وهو متعد بلا شك، فهو مضاف الى المفعول به لاغير، تقديره: وجعلنا لا هلاكهم موعدا، أي لإهلاكنا إياهم موعدا لا يتجاوزون(١).

٢٠ - **(وما أنسانيه)** من قوله تعالى :

«وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره..» الكهف (٦٣).

قرأ حفص بضم الهاء، ومثله **(عليهُ الله)** من قوله تعالى: **«.. ومن أوفى بما عهد عليهُ الله فسيؤتيه أجراً عظيما»** الفتح (١٠)(٢) (أنظر ٣٤).

وقرأهما الباقون بكسر الهاء.

٢١ - **(تساقط عليك)** من قوله تعالى :

«وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا» مريم (٢٥).

قرأ حفص بضم التاء وكسر القاف مخففة، وفتحهما الباقون، وكلهم شدد السين الا حمزة وحفصاً.

وحجة من ضم التاء أنه جعله مستقبل **(ساقطت)** فعداه الى الرطب فنصبه به، والفاعل النخلة تضمر في **(تساقط)** أي: تساقط النخلة رطبا جنيا عليك، ويجوز أن يكون الفاعل الجذع وأنثه لأنه ملتبس بالنخلة، اذ هو بعضها، كما قالوا : ذهب بعض اصابعه، فأنثوا البعض لالتباسه بالاصابع لأنه بعضها.

وحجة من فتح التاء وخففت انه اراد **(تتساقط)** ثم حذف احدى التاءين مثل **(تظاهرون وتساءلون)** وشبهه، وقد مضى الكلام عليه، ويكون الفعل مسنداً الى

---

(١) الكشف ٢/٦٦ .
(٢) الكشف ٢/٦٦ .

النخلة ايضا او الى الجذع وفي نصب (**رطبا**) في هذه القراءة لـ (**تساقط**) فيه بعد، لانه مستقبل (**تفاعل**) وهو في اكثر احواله لا يتعدى، فيكون نصب (**رطباً**) على الحال، وقد اجاز بعض النحويين نصبه في هذه القراءة على المفعول به قال: لأن (**تساقط**) مطاوع ساقط كما ان (**تفعل**) مطاوع (فعل)، فكما عدى (**تفعل**) في نحو (**تجرعته**) كذلك عدى (**تفاعل**) كما عدى (**فاعل**).

وحجة من شدد انه ادغم التاء الثانية في السين، على ماذكرناه في (**تساءلون به**)، وهو الاختيار، لأن الجماعة عليه، ولأنه الاصل(١).

٢٢ - «**قال رب احكم بالحق**» الانبياء (١١٢).

قرأ حفص بألف على الاخبار عن قول النبي صلى الله عليه وسلم، وقرأ الباقون (**قل**) بغير الف على الامر للنبي صلى الله عليه وسلم بالقول(٢).

٢٣ - (**سواء**) من قوله تعالى :

«**ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد..**» الحج (٢٥).

قرأ حفص (**سواءً**) بالنصب وقرأ الباقون بالرفع.

وحجة من نصب انه جعله مصدرا عمل فيه (**جعلناه**) كأنه قال: سوينا فيه بين الناس سواء، وارتفع (العاكف) لـ (**سواء**) كأنه قال: مستويا فيه العاكف، فهو مصدر في معنى اسم الفاعل، كما قالوا: رجل عدل أي: عادل، وعلى هذا أجازوا: مررت برجل سواء درهمه، أي مستويا درهمه، ويجوز ان يكون (**سواء**) انتصب على الحال.

واذا نصبته على الحال جعلته حالاً من المضمر، في قوله (**للناس**) المرتفع بالظرف.

ويكون الظرف عاملا في الحال، لأنه هو العامل في المضمر الذي هو صاحب الحال. او يكون حالا من الهاء في (**جعلناه**) ويكون العامل في الحال (**جعلنا**) كما عملت في الهاء التي هي صاحب الحال.

وحجة من رفع انه جعله خبرا ل (العاكف) مقدما عليه، والتقدير: العاكف والباد سواء في، أي ليس احدهما احق به من الآخر(٣).

٢٤ - (**والخامسةَ**) من قوله تعالى :

«**والخامسةَ أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين**» النور (٩).

(١) الكشف ٢/٨٨ .
(٢) الكشف ٢/١١٥ .
(٣) الكشف ٢/١١٨ .

قرأ حفص (والخامسةَ) بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

وحجة من نصبه أنه نصبه على اضمار فعل، دل عليه الكلام تقديره: ويشهد الخامسة أي الشهادة الخامسة، لأن (**شهادة**) تدل على (**يشهد**) ونصبه على انه موضوع موضع المصدر، ويجوز نصب الخامسة في قراءة من نصب (**أربع شهادات**) على العطف على (**اربع**) ويجوز نصب (**اربع**) و (**الخامسة**) على انهما موضوعان موضع المصدر.

وحجة من رفع أنه عطفه على (**أربع**) ان كان ممن يقرأ (**أربع شهادات**) بالرفع وان كان يقرأ (**أربع**) بالنصب رفع (**الخامسة**) على خبر ابتداء محذوف، تقديره: وشهادة احدهم الخامسة، ويجوز ان يحمله على المعنى، لأن (**أربع شهادات**) وان نصبته فمعناه الرفع فترتفع (**الخامسة**) على العطف على معنى (**اربع شهادات**)(١).

٢٥ - (**وَيَتَّقِهِ**) من قوله تعالى:

«**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**» النور (٥٢).

قرأه ابو عمرو وابو بكر باسكان الهاء - وقرأ قالون بكسر الهاء من غير ياء.

ومثله حفص الا انه اسكن القاف، وقرأ الباقون بكسر القاف ويصلون الهاء بياء في الوصل خاصة.

وحجة من كسر الهاء ووصلها بياء انه أتى به على الاصل، لأن الهاء قبلها متحرك مكسور، وقد بينا أن هذه الياء بدل من واو، وأن الهاء أصلها الضم، وانما كسرت لاتباع ماقبلها، والاستثقال للخروج من كسر الى ضم، ولأنه ليس في الكلام (**فَعلي**) فلما انكسرت الهاء انقلبت الواو ياء.

وحجة من كسر الهاء ولم يصلها بياء انه ابقى الفعل على أصله قبل الجزم، وذلك أن اصله (**يتقيه**) فحذفت الياء التي بعد الهاء عند سيبويه واصحابه لسكونها وسكون الياء التي قبل الهاء، ولم يُعتدّ بالهاء لخفائها، فلم يكن بحاجز حصين، فلما حذفت الياء التي بعد الهاء - لما ذكرنا - بقيت الهاء مكسورة من غير ياء بعد الكسرة، فلما حذفت

---

(١) الكشف ٢/١٣٥.

الياء قبل الهاء للجزم بقيت الهاء على حالها قبل حذف الياء، لأن حذف الياء التي قبل الهاء عارض. وقد قيل: ان من كسر الهاء من غير ياء بعد الكسرة أنه انما فعل ذلك لأنه لما رأى الحركة التي قبلها لا تلزم، لأن الفعل اذا رفع سكن ماقبل الهاء، واذا نصب انفتح ماقبل الهاء، فبناه على حال رفعه لأن الرفع اول الحركات.

وحجة من اسكن الهاء انه توهم انها لام الفعل لكونها آخرا فاسكنها للجزم وهذه علة ضعيفة.

وقيل : انه اسكن على نية الوقف وهذه علة ضعيفة ايضا.

وقيل : هي لغة لبعض العرب، حكى «سيبويه» «هذه أمة الله» بالاسكان ولا يشبه هاء **(هذه)** لأن **(هذه)** ليست للاضمار انما هي بدل من ياء ساكنة، وهاء **(يتقه)** للاضمار تعود على الله جل ذكره.

وحجة من اسكن القاف انه بناه على التخفيف، شبه **(تقِه)** بـ **(كتِف)** فخفف الثاني بالاسكان، كما يفعل بـ **(كتْف)** فيقول **(كَتْف)** وهو ضعيف انما يجوز في الشعر، وكان يجب على من اسكن القاف أن يضم الهاء، لأن هاء الكناية اذا سكن ماقبلها ولم يكن ياء، ضمت نحو **(منه وعنه واجتباه وفعلوه)**. لكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتد به وابقى الهاء على كسرتها التي كانت عليها، مع كسر القاف ولم يصل الهاء بياء، لأن الياء المحذوفة التي قبل الهاء مقدرة منوية فبقي الحذف على الياء التي بعد الهاء على أصله وكسر القاف[1].

٢٦ – **(فما تستطيعون)** من قوله تعالى :

«فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولانصرا، ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً» الفرقان (١٩).

قرأ حفص بالتاء على الخطاب للمشركين رداً على قوله: **(فقد كذبوكم)** أي: فقد كذبتكم الآلهة فيما تقولون فما تستطيعون لأنفسكم صرفاً ولانصراً، أي: صرفاً للعذاب ولانصرا مما نزل بكم من العقاب.

---

١) الكشف ١٤١ – ٢/١٤٢ .

وقرأ الباقون بالياء – ردوه على الاخبار عن المعبودين من دون الله، أي: قد كذبكم من عبدتم فما يستطيعون صرفا عنكم العذاب ولا نصراً لكم.

واخبروا عن الآلهة بالواو والنون في (**يستطيعون**) لانها كانت عندهم ممن يعقل ويفهم ولذلك عبدوها ويجوز ان تكون الملائكة(١).

٢٧ – (**من الرهب**) من قوله تعالى :

«**أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب..**» القصص/ ٣٢ .

قرأ الحرميان وابو عمرو بفتح الراء والهاء.

وقرأ حفص بفتح الراء واسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء واسكان الهاء وهي لغات بمعنى واحد و(**الرهب**) و(**الرهبة**) الخوف، وجناح الرجل يداه وقيل عضداه(٢).

٢٨ – (**الخسف**) من قوله تعالى :

«**.. لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون**» القصص (٨٢).

قرأه حفص بفتح الخاء والسين، بناه للفاعل، لتقدم ذكره في قوله (لولا أن من الله علينا لخسف بنا) وقرأ الباقون بضم الفاء وكسر السين، على مالم يسم فاعله(٣).

٢٩ – (**لآيات للعالمين**) من قوله تعالى :

«**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم إن في ذلك لآيات للعالِمين**» الروم (٢٢).

قرأ حفص بكسر اللام الثانية وقرأ الباقون بفتحها.

وحجة من كسر انه جعله جمع (**عالم**) وهو ذو العلم، خص بالآيات العلماء، لأنهم اهل النظر والاستنباط والاعتبار دون الجاهلين الذين هم في غفلة وسهو عن تدبر الآيات

---

(١) الكشف ٢/١٤٥ .

(٢) الكشف ٢/١٧٣ .

(٣) الكشف ٢/١٧٦ .

والتفكر فيها، دليله قوله تعالى (**ومايعقلها الا العالِمون**) العنكبوت (٤٣) فأخبر ان الذين يعقلون الامثال والآيات هم العالمون دون الجاهلين، ولو عقلها الجميع لم يكن لعالم فضل على الجاهل.

وحجة من فتح اللام أنه جعله جمع عالم، كما قال (**رب العالَمين**) والعالم هو جميع المخلوقات في كل أوان، فذلك أعم في جميع الخلق، اذ الآيات والدلالات على توحيد الله يشهدها العالم والجاهل، فهي آية للجميع، وحجة على كل الخلق، ليست بحجة على العالم دون الجاهل فكان العموم اولى بذلك.

ومن كسر اللام فانه يجب على قوله ان لاتكون الآيات حجة الا على ذوي العلم دون غيرهم، فالفتح اولى به، لانه حجة الله جل ذكره، لازمة لكل الخلق(١).

٣٠ – (**من ضعف**) من قوله تعالى :

«**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة، يخلق مايشاء، وهو العليم القدير**» الروم (٥٤).

قرأ ابو بكر وحمزة بفتح الضاد، في ثلاثة مواضع في هذه الآية، وقد ذكر عن حفص انه رواه عن عاصم، واختار الضم لرواية قويت عنده، وهو ما رواه ابن عمر قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من ضَعف**) يعني بالفتح قال: فردّ علي النبي صلى الله عليه وسلم (**من ضُعف**) يعني بالضم في الثلاثة، وروي عنه انه قال: ماخالفت عاصما في شيء مما قرأت به عليه الا في ضم هذه الثلاث كلمات، وقرأ الباقون فيهن بالضم، وهما لغتان كالفَقْر والفُقْر(٢).

٣١ – (**لامقام**) من قوله تعالى :

«**وإذ قالت طائفة منهم يأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا..**» الاحزاب (١٣).

قرأ حفص بضم الميم، جعله اسم مكان على معنى: لا موضع قيام لكم، كما قال: (مقام ابراهيم) البقرة (١٢٥) أي: موضع قيامه، ويجوز ان يكون مصدرا من (**أقام**)

---

(١) الكشف ٢/١٨٣ .

(٢) الكشف ٢/١٨٦ .

على معنى: لا إقامة لكم، وقرأ الباقون بفتح الميم، على انه مصدر قام قياما ومقاما، ويجوز ان يكون ايضا اسم مكان، والقراءتان بمعنى(1).

٣٢ - **(فأطلع)** من قوله تعالى :

«.. أسباب السماوات فأطلع الى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل، وما كيد فرعون إلا في تباب» غافر (٣٧).

قرأ حفص بالنصب على الجواب لـ **(لعل)** لأنها غير واجبة كالأمر والنهي، والمعنى: اذا بلغت اطلعت، كما تقول: لاتقع في الماء فتسبح، معناه في النصب: ان وقعت في الماء سبحت، ومعناه في الرفع: لاتقع في الماء ولاتسبح، وقرأ الباقون بالرفع عطفوه على **(ابلغ)** فالتقدير: لعلي ابلغ ولعلي اطلع، كأنه توقع امرين على ظنه(2).

٣٣ - **(أسورة)** من قوله تعالى :

«فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين» الزخرف (٥٣).

قرأ حفص على وزن **(أفعله)** وقرأ الباقون على وزن **(أفاعله)**.

وحجة من قرأ على وزن **(أفعلة)** انه جعله على جمع **(سوار)** كحمار وأحمرة.

وحجة من قرأه على وزن **(أفاعلة)** انه جعله جمع **(أساور)** حكى ابو زيد (إسوار المرأة) و **(وسوارها)** وكان القياس في جمع **(إسوار)** **(أساوير)** كإعصار وأعاصير، ولكن جعلت الهاء بدلا من الياء وحذفت الياء كما جعلوا الهاء بدلا من الياء في (زنادقة) ويجوز أن يكون (أساور) جمع (أسورة) كأسفية وأسافي، ودخلت الهاء كما دخلت في قشعم وقشاعمة(3).

٣٤ - **(عليهُ الله)** من قوله تعالى :

«.. ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه اجراً عظيماً» الفتح (١٠).

قرأ حفص بضم الهاء، أتى به على الاصل بصلة الهاء بواو ثم حذف الواو لسكونها وسكون اللام بعدها فبقيت الضمة، وقرأ الباقون بالكسر، لأنهم ابدلوا من ضمة الهاء

---

(1) الكشف ٢/١٩٥ .
(2) الكشف ٢/٢٤٤ .
(3) الكشف ٢/٢٥٩ .

كسرة للياء التي قبلها، لأن الكسرة باليا أشبه، وهي اخف بعد الياء، فانقلبت الواو ياء، وحذفت لسكونها وسكون اللام بعدها.

وقد تقدمت العلة في هذا الباب باشبع من هذا(١).

٣٥ - (**بالغ أمره**) من قوله تعالى :

«.. **ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا**» الطلاق (٣).

قرأ حفص بالاضافة فـ (**الامر**) مخفوض بإضافة (**بالغ**) إليه.

وقرأ الباقون بالتنوين ونصب (**الأمر**) وهما لغتان في اثبات التنوين في اسم الفاعل اذا كان بمعنى الاستقبال او الحال وحذفه(٢).

٣٦ - (**نزاعة للشوى**) من قوله تعالى :

«**كلا إنها لظى * نزاعة للشوى**» سورة المعارج (١٥ - ١٦).

قرأ حفص بالنصب، ورفع الباقون.

وحجة من نصب انه جعله حالاً من (**لظى**) (١٥) لأنها معرفة وهي حال مؤكدة.

فلذلك أتت حالا من (**لظى**) و (**لظى**) لاتكون الا نزاعة للشوى، وقد منع ذلك المبرد وهذه جائز عند غيره، على ماذكرنا من التأكيد، والعامل في (نزاعة) مادل عليه الكلام من معنى التلظي، وقيل: نصبها باضمار فعل على معنى: أعنيها نزاعة، فهي حال ايضا من (**لظى**) لأن الهاء في أعنيها لـ (**لظى**).

وحجة من رفع انه يحتمل الرفع خمسة اوجه.

الاول : ان تكون (**لظى**) خبرا، و(**نزاعة**) خبرا ثانيا، كما تقول: ان هذا حلو حامض.

والثاني : ان تكون (**لظى**) في موضع نصب على البدل من الهاء، في (**إنها**) و(**نزاعة**) خبر (**إن**) كما تقول : إن زيدا أخاك قائم.

والثالث : أن تكون (**لظى**) خبر (إن) و(**نزاعة**) بدلا من (**لظى**) كأنه قال: انها نزاعة للشوى.

---

(١) الكشف ٢/٢٨١ .

(٢) الكشف ٢/٣٢٦/٣٢٥ .

والرابع : ان ترفع (**نزاعة**) على اضمار مبتدأ، كأنك قلت: هي نزاعة للشوى.

والخامس : ان تجعل الهاء في (**إنها**) للقصة و(**لظى**) مبتدأ و(**نزاعة**) خبر الابتداء والجملة خبر (**إن**)(٢).

٣٧ - (**بشهاداتهم**) من قوله تعالى :

«**والذين هم بشهداتهم قائمون**» المعارج (٣٣).

قرأ حفص بالجمع، لكثرة الشهادات من الناس، ولأنه مضاف الى جماعة، فحسن ان يكون المضاف ايضا جماعة.

وقرأ الباقون بالتوحيد، لأنه مصدر يدل على الكثير والقليل، فلفظه موحد(١).

٣٨ - (**والرجز**) من قوله تعالى :

«**وثيابك فطهر * والرجز فاهجر**» المدثر (٤ - ٥).

قرأ حفص بضم الراء، وكسرها الباقون، وحجة من ضم انه جعله اسم صنم، وقيل هما صنمان كانا عند البيت (**اساف ونائلة**).

وحجة من كسر انه جعله (**الرجز**) العذاب، والمعنى أنه أمر أن يهجر مايحل العذاب من أجله، والتقدير: وذا الرجز فاهجر: وهو الصنم، وحسن اضافة الصنم الى العذاب، لأن عبادته تؤدي الى العذاب، وقيل هما لغتان في العذاب كـ (**الذكر والذُّكر**)(٢).

٣٩ - (**من مني يمنى**) من قوله تعالى :

«**الم يك نطفة من منيٍ يمنى**» القيامة (٣٧).

قرأ حفص الياء، رده على تذكير (**المني**) فجعل الفعل لـ (**المني**) وقرأ الباقون بالتاء على تأنيث (**النطفة**) جعلوا الفعل لـ (**النطفة**)(٣).

---

(١) الكشف ٢/٣٣٦ .
(٢) الكشف ٢/٣٤٧ .
(٣) الكشف ٢/٣٥١ .

٤٠ – (**فكهين**) من قوله تعالى :

«**وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين**» المطففين (٣١).

قرأ حفص بغير الف، جعله من (**فكِه فهو فِكه**) مثل حَذر فهو حذِر، ومعناه فيما روى ابو عبيد عن ابي زيد: ضاحكين طيبي الأنفس.

وقرأ الباقون بألف على معنى : ذوي فواكه، وقيل: معناه: معجبين، وقيل ناعمين.

وقال الفراء : فكهين وفاكهين بمعنى واحد[1].

---

(١) الكشف ٢/٣٦٦ .

الخاتمـــة

اعلم ايها الطالب العزيز، اطال الله بقاءك بطاعته: ان منشور النصيحة يكتب من معدن رسالة المصطفى عليه السلام، والنصيحة سهل، والمشكل قبولها، لانها في مذاق متبعي الهوى مر.

ولقد سمى الله تعالى معلمي هذه الأمة بالربانيين، فقال تعالى: «..ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون» سورة آل عمران آية ٧٩، فالرباني هو الذي يربي الناس بما يصلحهم في دينهم ودنياهم.

واعلم ان علامة اعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه، وإن امرأً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له، لجدير ان تطول عليه حسرته، فلاتكن من الاعمال مفلساً، ولا من الاحوال خالياً، وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ باليد، مثال من يحمل سلاحاً فحمل عليه اسدٌ عظيم، هل يدفع السلاح شرَّه عنه بلا استعمال، فإن السلاح لايدفع الا بالتحريك، ولو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت الف كتاب، لاتكون مستعداً لرحمة الله تعالى الا بالعمل، لقوله تعالى: «وان ليس للإنسان الا ماسعى» وقوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً».

والايمان : قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالاركان.

وقال الحسن البصري رحمه الله: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب.

فالكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، ورضي بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى، وترك رضا نفسه في طلب رضا الله تعالى.

فالعلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لايكون، فاجعل الهمة في الروح، والهزيمة في النفس، والموت في البدن، لان منزلك القبر، واهل المقابر ينتظرونك متى تصلهم، إياك إياك ان تصلهم بلا زاد.

فنصيحتي لك : اعتقاد صحيح لايكون فيه بدعة، وتوبة نصوح، لاترجع بعدها الى

الذلة، واسترضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق، وتحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدي به اوامر الله تعالى، ثم من علوم الآخرة مايكون به النجاة.

وافضل محبوب المرء ما يدخل معه في قبره، فاعمل لدنياك بقدر مقامك فيها، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها، واعمل لله بقدر حاجتك اليه، واعمل للنار بقدر صبرك عليها.

عش ما شئت فانك ميت، واحبب من شئت فانك مفارق، واعمل ماشئت فانك مجزي به، وحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، وزنوا اعمالكم قبل ان توزنوا.

اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة، واعذنا في الدنيا من موجبات الندامة، يوم القيامة، وخفف عنا ثقل الاوزار، وارزقنا عيشة الابرار، واكفنا واصرف عنا شرّ الاشرار، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وامهاتنا ومشايخنا من النار، ومن قرأ علينا او قرأنا عليه برحمتك ياعزيز ياغفار، وصلى اللهم على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعى بدعوته الى يوم الدين.

زيدان محمود سلامه العقرباوي

الفهرس